أَثَرُ تَفْعِيلَةِ [الضَّرْبِ] فِيْ مُجَانَفَةِ الْبِنْيَةِ الصَّرْفِيَّةِ؛ إِعْلَالًا وَإِبْدَالًا

د/ إِبْرَاهِيم مُحَمَّد مُحَمَّد الْعَرِينِيّ*

إِبْرَاهِيم مُحَمَّد مُحَمَّد الْعَرِينِيّ، أُسْتَاذٌ مُسَاعِدٌ [مُشَارِكٌ] بِقِسْمِ النَّحْوِ وَالصَّرْفِ وَالْعَرُوضِ- كُلِّيَّةُ دَارِ الْعُلُومِ- جَامِعَةُ الْقَاهِرَةِ.

* د/ إِبْرَاهِيم مُحَمَّد مُحَمَّد الْعَرِينِيّ، أُسْتَاذٌ مُسَاعِدٌ [مُشَارِكٌ] بِقِسْمِ النَّحْوِ وَالصَّرْفِ وَالْعَرُوضِ- كُلِّيَّةُ دَارِ الْعُلُومِ- جَامِعَةُ الْقَاهِرَةِ.

الْمُقَدِّمَةُ:

لا جَرَمَ أنَّ القافية هي تاجُ الإيقاع الشعري، ذلك حقٌّ لا ريبَ فيه ولا مراء؛ لأن لها سلطانًا لا يكاد يصل إليه سواها من تفعيلات الحشو، وبات ذلك معلوما من الدرس القافوي بالضرورة، كما أضحى من الوضوح بمكان كونُ النحوِ بِمَفْهُومِهِ الأرحب الأَشْمَلِ يَضُمُّ تَحْتَ عَبَاءَتِهِ الْبِنْيَةَ الصَّرْفِيَّةَ، كما ذكر ابنُ جنِّي(١)، ويشملُ - أيضًا- اللُّغَةَ الْمُتَمَثِّلَةَ فِي الْبِنْيَةِ " الصَّوْتِيَّةِ، وَالْمُعْجَمِيَّةِ، وَالتَّرْكِيبِيَّةِ، وَالدِّلاَلِيَّةِ"(٢)؛ إِذْ إِنَّ وَشَائِجَ ذَلِكَ كُلِّهِ يُعَدُّ رَكِيزَةَ النَّصِّ الَّذِي هُوَ " بِنْيَةٌ شُمُولِيَّةٌ لِبَنَى دَاخِلِيَّةٍ مِنَ الْحَرْفِ، إِلَى الْجُمْلَةِ، إِلَى السِّيَاقِ، إِلَى النَّصِّ الْمُكْتَمِلِ فِيْ دِلاَلَتِهِ، الْمُكْتَفِي بِذَاتِهِ"(٣). ومنْ ثَمَّ قسَّمَ إبراهيم أنيس الدَّلالة إلى أربعة أصناف هي: الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية أو (الاجتماعية) (٤)، وقسَّمها غيره إلى ثلاثة أقسام: الذاتية (الطبيعية)، والتوقيفية، والإصلاحية (العرفية)(٥). وقد أشار أبو عمرو الداني في هذا الاتجاه إلى أنَّ " كلَّ حرفٍ من حروف القرآن يجب أنْ يمكَّن لفظُه، ويُوفَّى حقَّه من المنزلة التي هو مخصوصٌ بها ... ولا يُبْخَسُ شيئا من ذلك؛ فيتحوَّلَ عن صورته، ويزولَ عن صيغته، وذلك عند علمائنا في الكراهة والقبح **كَلَحْنِ الْإِعْرَابِ**"(٦).

إنَّ لتفعيلة الضرب سلطةً قويةً، وقوةً قاهرة فرضتْها على التكوين اللغوي لبنيتها اللفظية، ولا يمكن الفرارُ من هيمنتها لاعتبارِ مِعْيَارَيِ الشعرِ: الوزن وأصول القافية. وقد آثر البحث في عنوانه تركيب [تفعيلة الضرب] عن لفظ [القافية]؛ من أجل أن يكون في سَعة من أمره؛ إذ قد تقصر القافية بحدودها الخليليَّة عن إدراك الْمُرَادِ؛ فقد تأتي خاليةً من أيِّ تغيير، بيد أنَّه لو احتكمنا إلى تفعيلة الضرب التي تَكُون في أحايِينَ كثيرةٍ أوسعَ نطاقًا من القافية، وأكثرَ منها كَمًّا- لأدركْنا تغييرًا صرفيًّا بالإعلال والإبدال يروم البحثُ رصدَه وتقييمَه؛ وما كان ليحدثَ ذلك التغيِيرُ إلَّا لسطوة وزنِ تفعيلة الضرب وهيمنتِها.

أحاول بإلحاح في هذا البحث التقاطَ أو استنباطَ بعض هذه التغييرات أو المجانفات التي تفرضها تَفْعِيلَةُ [الضَّرْبِ] بوزنها متمثلةً في حَتْمِيَّةِ تَبَايُنِ الْبِنْيَةِ الصَّرْفِيَّةِ؛ إِعْلاَلًا وَإِبْدَالًا- وقد أتناول شيئا مما يفرضه الوزنُ في الحشْوِ- محاولا في مجاهدةٍ بيانَ العلةِ من وراء هذا المسلك، أو أثر ذلك في استرسال المعنى من عدمه؛ إذْ إنَّ " لتعانق المستوى الصرفي بمستويات اللغة الأخرى أثرًا بَيِّنًا في تِبْيان الدَّلالة، واستجلاء قيمتِها وجوانبها"(٧).

لا شك أنَّ الكلمة من أهمِّ لبنات التركيب اللغوي والبحث فيه؛ حيث تُدْغَمُ هذه الأنظمة جميعا في تبيان الدلالة للجملة العربية، وعلى الرغم من أهمية هذه المستويات جميعها؛ إلَّا أن~Q البحث النحويَّ قد ركَّزَ بِأَخَرَةٍ على المستويات الصوتية والنحوية والدلالية، متجنِّبًا الخوضَ في المستوى الصرفيِّ؛ لدقَّةِ مسائله، ووعورةِ مسالكِه.

من هنا يطمح هذا البحث إلى إعادة تحليل بعض معطيَات المستوى الصرفي في إطار نظرة كليَّةٍ إلى اللغة بصفتها نظامًا يتعاوَرُ على تشكيل المعنى. كما تتمثل قيمةُ هذا البحث في

---

(١) انظر: الخصائص-ج١/ ص٣٤* شعر أبي تمام، دراسة نحوية – ص٧.

(٢) الإبداع الموازي: التحليل النصي للشعر-ص١٥،١٦،٢٩.

(٣) علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، أد. سعيد بحيري- ص١٤٦.

(٤) دلالة الألفاظ- ص٤٤: ٥١.

(٥) المشترك اللفظي في اللغة العربية- ص٧: ٢٨.

(٦) التحديد في الإتقان والتجويد- ص١١٦.

(٧) انظر: تعالق المستوى الصرفيِّ بمستويات اللغة الأخرى- ص١{ بتصرف يسير}.

كون مظاهرِ سطوةِ وزنِ تفعيلة الضرب وهيمنتِها في مغايرة البنية الصرفية إعلالا وإبدالا - لا تزال شذراتٍ متناثرةً في أحشاء المصادر اللغوية وأجواف المراجع الدَّلالية، وبعضُها مستنبطٌ من أَتُونِ التصانيف النحوية والصرفية ومُتُونِهَا؛ من أجل ذلك كَانَ مَنْهَجُ هَذَا الْبَحْثِ انْتِقَائِيًّا؛ لِأَنَّ الْمَوْضُوعَ مُمْتَدٌ مِنْ لَدُنْ أَوَّلِ نَاظِمٍ لِلشِّعْرِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَوَّلِ نَحْوِيٍّ، إِلَى آخِرِ شَاعِرٍ يُستشهد بشعره، وآخرِ نَحْوِيٍّ يُعتدُّ برأيه؛ مِمَّا دَفَعَ الْبَحْثَ إِلَى انْتِقَاءِ قَضَايَا، وَتَرْكِ أُخْرَى كَثِيرَةٍ لَمْ يُنَاقِشْهَا، وَإِلاَّ عَظُمَ الْبَحْثُ حَجْمًا، ثُمَّ يَنْزِعُ الْبَحْثُ إِلَى الاسْتِقْرَاءِ شِبْهِ التَّامِّ فِي مُعَايَنَةِ أَوْ مُعَالَجَةِ مَا انْتُقِيَ لَهُ مِنْ قَضَايَا؛ بَدْءًا بِتَوْصِيفِ الْقَضِيَّةِ أَوِ الْمَسْأَلَةِ فِي إِطَارِ الشَّاهِدِ الشِّعْرِيِّ، ثُمَّ الْمُنَاقَشَةُ لآرَاءِ النَّحْوِيِّينَ والصرفيِّين وَالْمُفَسِّرِينَ وَالْمُعْرِبِينَ، ثُمَّ التَّرْجِيحُ بِالْقَبُولِ أَوِ الرَّفْضِ، أو إِنْشَاءِ لاجْتِهَادٍ خَاصٍّ بِالْبَحْثِ؛ حَتَّى يَخْلُصَ الْبَحْثُ إِلَى نَتَائِجَ دَقِيقَةٍ مَدْرُوسَةٍ، يُمْكِنُ الْحُكْمُ بِهَا، وَالاتِّكَاءُ عَلَى مِنْسَأَتِهَا.

هذا، ولمْ أقفْ على دراسة سابقة تناولتْ تأثيرَ وزنِ تفعيلةِ الضرب في تغيير البنية الصرفية إعلالًا وإبدالًا. ولَئن وُفِّقْتُ إلى ذلك لتكونَنَّ حسنةً يَزيد الله فيها حُسْنًا، وحسبي تلك السُّهْمَةُ اليسيرة في ذلك البنيان التراثيِّ النحويِّ الضخمِ الفخمِ الذي يُدهشنا كل يوم بما يضمُّه من إمكانات ومعالمَ لنظريات لغوية حديثة، إذا ما أَتَتْنَا أوْ وَاتَتْنَا مِنْ عِنْدِ قومٍ آخرين انبرَيْنَا قائلين: إنَّ هذا عندنا منه!

ذَلِكَ، وَقَدْ تَأَلَّفَ الْبَحْثُ مِنْ مُقَدِّمَةٍ وَتَمْهِيدٍ، **وَمَبْحَثَيْنِ اثْنَيْنِ**، وَخَاتِمَةٍ، وَثَبَتٍ بِأَهَمِّ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ. وَلَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ كُلُّهُ مَنْسُوقًا عَلَى النَّحْوِ الآتِي:

١- **الْمُقَدِّمَةُ** : تَنَاوَلَتْ أَهَمِّيَّةَ الْمَوْضُوعِ، وَأَسْبَابَ اخْتِيَارِهِ، وَخُطَّتَهُ، وَأَهْدَافَهُ الْمَرْجُوَّةَ، وَمَنْهَجَهُ.
٢- **التَّمْهِيدُ**: { بَيْنَ الْقَافِيَةِ، والضَّرْبِ، وَالْإِعْلَالِ، وَالإِبْدَالِ}.
٣- **الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ:** { مُغَايَرَةُ الْبِنْيَةِ إِعلَالًا؛ لِسَطْوَةِ تَفْعِيلَةِ الضَّرْبِ}.
٤- **الْمَبْحَثُ الثَّانِي:** { مُغَايَرَةُ الْبِنْيَةِ إِبْدَالًا؛ لِسَطْوَةِ تَفْعِيلَةِ الضَّرْبِ}.
٥- **الْخَاتِمَةُ** : خُتِمَ الْبَحْثُ بِذِكْرِ أَهَمِّ النَّتَائِجِ وَالثِّمَارِ مِنْ خِلالِ مَبَاحِثِهِ، وَالتَّوْصِيَاتِ الَّتِي تَوَصَّلَ إِلَيْهَا.

رَبِّ يَسِّرْ، وَأَعِنْ، وَاخْتِمْ بِخَيْرٍ يَا كَرِيمُ!

تَمْهِيدُ

بَيْنَ الْقَافِيَةِ، والضَّرْبِ، وَالْإِعْلَالِ، وَالإِبْدَالِ

بإيجاز أُحَرِّرُ بين يدي البحث المصطلحاتِ الواردةَ في العنوان مبيِّنًا المعنى المرادَ منها، وهي [الْقَافِيَةُ- الضَّرْبُ- الْعِلَّة- الإعْلَالُ].

أَوَّلًا: الْقَافِيَةُ

القافية لغةً على وزن [فاعلة] من القَفْوِ، وهو الإتباع، وقُلِبَتْ الواوُ ياءً؛ لانكسار ما قبلها. فالشاعر يقفو المعنى، ويقفو ما سبق من الأبيات، ويقفو آخرَ البيت؛ أي يتبعه. كما تطلق في اللغة على مُؤَخَّرِ الْعُنُقِ. وفي القرآن قال الله-تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ!:(ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ)[٨]؛ أي: أتبعنا. وأما القافية اصطلاحًا فَهِيَ عِلْمٌ موضوعُه أواخرُ الأبيات الشعرية، فيضمُّ البحثَ في حدودِها، وحروفِها، وحركاتِها، وعيوبِها، وألقابِها. فالقافية شريكةُ الوزن في الاختصاص بالشعر. أما حدودُ القافية فثمةَ مَنْ يرى أنَّ آخر حرف في البيت هو القافيةُ، وهو مذهب الفرَّاء وقطرب. فيما يَعُدُّها غيرُه آخرَ كلمة في البيت، وهو مذهب الأخفش. أمَّا إمامُ الصَّنْعَةِ وَمُبْدِعُ الْفَنِّ الخليلُ {ت١٧٠هـ} فقد حدَّدها بالجزء الأخير من البيت الذي يتألَّف من آخر ساكنَيْنِ، وما بينهما من حروف متحرِّكة، إضافةً إلى الحرف المتحرِّك الذي قبل الساكن الأوَّلِ. ومذهب الخليل هو الصحيح؛ والقافية بذلك قد تكون كلمةً، أو جزءًا من كلمة، أو أكثرَ من كلمة.

ثانيا: الضَّرْبُ

الضَّرْبُ: كلمةٌ مذكَّرة، وهو آخرُ تفعيلة في عَجُزِ البيت، وجمعُه: أضرُبٌ وضروبٌ، وأضرابٌ. وسُمِّيَ ضربًا؛ لأن البيت الأوَّلَ من القصيدة إذا بُنِيَ على نوع من الضرب كان سائر القصيدة عليه، فصارت أواخرَ القصيدة متماثلةً؛ فسُمِّيَ ضربًا، كأنه أُخِذَ من قولهم: أضرابٌ؛ أي: أمثالٌ. وإليك رسمًا بيانيًّا يوضح موقع الضرب من سائر أجزاء البيت الشعري الآتي:

لَا يَفْرَحُونَ إِذَا نَالَتْ رِمَاحُهُمْ قَوْمًا وَلَيْسُوا مَجَازِيعًا إِذَا نِيلُوا[٩]

لَاْ يَفْرَحُو	نَ إِذَا	نَالَتْ رِمَا	حُهُمُو		قَـــوْمَنْ وَلَيْـ	ـــسُوْ مَجَاْ	زِيعَنْ إِذَا	نِيلُوْ
٥//٥/٥/	٥///	٥//٥/٥/	٥///		٥//٥/٥/	٥//٥/	٥//٥/٥/	٥/٥/
مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ		مُسْتَفْعِلُنْ	فَاْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَاْعِلْ
سالمةٌ	مخبونة	سالمةٌ	**[عَروضٌ] مخبونةٌ**		سالمةٌ	سالمةٌ	سالمةٌ	**[ضَرْبٌ] مقطوعٌ**
الْحَشْـــوُ					**الْحَشْـــوُ**			

(٨) سورةُ الْحَدِيد، جزءٌ منَ الآيةِ {٢٧}.

(٩) البيت لكعبِ بنِ زُهَيْرٍ {ت٢٦هـ} من [الْبَسِيط]. انظره في: جمهرة أشعار العرب– ص٢٤٠* التذكرة الحمدونية–ج٤/ ص١٢.

أما في البيت الشعري المشطور- وهو البيت الذي حُذِفَ شطرُه أو مصراعُه- فتكون فيه العَروضُ هي الضربَ، ويكون في بحْرَيِ الرَّجَزِ والسَّرِيعِ.

ثالثًا: الْإِعْلَالُ

مِمَّا لا ريبَ فيه أنَّ " الإعلال والإبدال من سُنَنِ العربيَّةِ"(١٠)، فالإعلال لغةً مصدرُ أُعِلَّ؛ أي أصيبَ بالعلَّةِ، وهي المرضُ، عَلَّ يَعِلُّ واعْتَلَّ، وأَعَلَّهُ الله – تعالى!- فهو مُعَلٌّ وعَليلٌ، ولا تقلْ: مَعْلول(١١)، والعَلُّ والعَلَلُ: الشَّرْبَةُ الثَّانِيَةُ، وقيل: الشُّرْبُ بعد الشُّرْبِ تِبَاعًا، يُقالُ: عَلَلٌ بَعْدَ نَهَلٍ(١٢)؛ فالنَّهَلُ هو الشربة الأُولَى.

وأمَّا الإعلالُ اصطلاحًا فقد عرَّفه ابنُ الحاجب بأنَّه " تغييرُ حرفِ العلَّةِ؛ للتخفيف، ويجمعه القلبُ والحذفُ والإسكانُ، وحروفُه الألف والواو والياء"(١٣).

رَابِعًا: الْإِبْدَالُ

الإبدال لغةً هو " مصدر أَبْدَلَ، والبدلُ هو العِوَضُ، أَبْدَلْتُ كذا من كذا إذا أقمْتُه مُقَامَهُ"(١٤). وقيل:" وضعُ الشيءِ مكانَ غيرِه"(١٥).

وأما الإبدالُ اصطلاحًا فهو " إقامة حرفٍ مكانَ حرفٍ، مع الإبقاء على سائر حروف الكلمة، وبذلك قد تشترك الكلمتان أو الصورتان بحرفين أو أكثرَ، ويُبْدَلُ حرفٌ منها بحرف آخرَ يتقاربان مخرجا، أو في المخرج والصفة معًا"(١٦). وبيَّن ابنُ فارسٍ أنَّ " من سنن العرب إبدالَ الحروفِ، وإقامةَ بعضها مُقَامَ بعض: مَدَحَهُ مَدَهَهُ، ورفَّلَ ورفَّنَ، وهو كثيرٌ مشهورٌ"(١٧)، وأوضح ابنُ يعيشَ مفهومَ البدل مشيرا باقتضَاب إلى بعض عِلَلِهِ، فقال:" البدلُ أنْ تُقيمَ حرفًا مُقَامَ حرفٍ؛ إمَّا ضرورةً، وإما صنعةً، واستحسانًا"(١٨).

فالإبدال تغييرٌ يعتري الصوتَ حين يجاور غيرَه أو يأتلف معه في سياقٍ مَا، بحيثُ يتحوَّلُ الصوت الواحد إلى صوت آخرَ، مع الإبقاء على سائر أصوات الكلمة، واحتفاظها بدَلالتها ومعناها الأصليِّ، فهو مظهرٌ من مظاهرِ اختلاف اللهجات، يهدف إلى تحقيق الانسجامِ بين الأصوات، والتماسِ الخفَّةِ في النطق، والاقتصادِ في الجهد العضليِّ.

---

(١٠) الإبدال وعلاقته بعلم الأصوات، مُثَنَّى جاسم محمد- ص٣٠٨.

(١١) القاموس المحيط- ج٤/ ص٢١.

(١٢) لِسَانُ الْعَرَبِ [علل]-ج١١/ ص٤٦٧* العين- ج١/ ص٨٨.

(١٣) شرح شافية ابن الحاجب، الرضي الإستراباذي- ج٣/ ص٦٦.

(١٤) لِسَانُ الْعَرَبِ [بدل]-ج١٣/ ص٥٠، ٥١.

(١٥) المخصص-ج٤/ ص١٧٩.

(١٦) الإبدال، لأبي الطيِّب عبد الواحد عليّ اللغويّ-ج١/ ص٩.

(١٧) الصاحبي- ص١٥٤.

(١٨) شرح المفصَّل، لابن يعيشَ {ت٦٤٣هـ}-ج١٠/ ص٧.

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ

مُغَايَرَةُ الْبِنْيَةِ إِعلَالًا؛ لِسَطْوَةِ تَفْعِيلَةِ الضَّرْبِ

الإعلال تغييرٌ يعتري حرف العلة؛ اجتنابا للثقلِ، أو التعذر، ويكون إمَّا بالقلب، وإمَّا بالحذف، وإمَّا بالإسكان، **لتحقيق الانسجام بين الأصوات المتجاورة في داخل البِنَى اللغوية؛** طلبا للخفة والسهولة في النطق. وقد ذكر ابن جنِّي أنواع الإعلال الثلاثة أثناء حديثه عن اختلاف الأئمة في المحذوف من [مفعول] ناقلا عن أبي علي الفارسي قوله:" ولكنَّه لمَّا أعلَّ الفاء بالقلب أعلَّها بالحذف، فكذلك لما أُعِلَّتْ عينُ [مفعول] بالإسكان والقلب، أُعِلَّتْ - أيضًا- بالحذف"[١٩]. كما أفرد ابن عصفور بابا مستقلًّا عن القلب والحذف والنقل؛ لأنَّ " جميع ذلك إنَّما يُتَصَوَّرُ بِاطِّرَادٍ في حروف العلة"[٢٠].

في هذا المبحث أتناول أمرين، أَوَّلًا: أَثَرُ وَزْنِ تَفْعِيلَةِ [الضَّرْبِ] فِي مُغَايَرَةِ الْبِنْيَةِ، ثَانِيًا: أَثَرُ [الْوَزْنِ في الحشو] فِي مُغَايَرَةِ الْبِنْيَةِ. أسوق لكلا الأمرين نماذجَ منتقاةً دالةً على ما سواها؛ لكي أوضحَ من خلالها أَثَرَ الوزنِ وَتَفْعِيلَةِ [الضَّرْبِ] وَسطوتَهما فِي مُجَانَفَةِ الْبِنْيَةِ الصَّرْفِيَّةِ؛ إِعْلَالًا، مُعَنْوِنًا تلك النماذجَ بعناوينَ كاشفةٍ عن عللٍ دَلاليةٍ معنويةٍ أو شكليةٍ من وراء ظاهرة الإعلال الصرفي وتأثرها بهيمنة وزنِ تفعيلة الضرب.

أَوَّلًا: أَثَرُ وَزْنِ تَفْعِيلَةِ [الضَّرْبِ] فِي مُغَايَرَةِ الْبِنْيَةِ

يمكن التدليل على ذلك بنماذجَ مُبَيِّنَةٍ على النَّحْوِ الآتي:

الأَوَّلُ: قلبُ الياءِ ألفًا؛ امتثالًا لوزن تفعيلةِ الضَّرْبِ، وانسجامًا صوتيًّا

قال أبو زيد الأنصاري {ت٢١٤هـ} في نوادره: قال المفضَّلُ: أنشدني أبو الْغُول لبعض أهلِ اليَمَنِ [الرَّجَزُ]:

أَيَّ قَلُوصٍ رَاكِبٍ تَرَاهَا؟!
طارُوا عَلَاهُنَّ، فَشُلْ عَلَاهَا[٢١]
فَاشْدُدْ بِمَثْنَيْ حَقَبٍ حَقْوَاهَا
نَاجِيَةً وَنَاجِيًا أَبَاهَا[٢٢]

القياس [عَلَيْهِنَّ، وَعَلَيْهَا]، لكنْ لغة أهل اليمن قلبُ الياء الساكنة المفتوح ما قبلها ألفًا، فبعضُهم " يفرُّ من الياء مطلقًا في التثنية، والأسماء الستَّةِ، وعَلَى، وإِلَى"[٢٣]، وهي لغة بني الحارث بن كعب، يقولون: أخذتُ الدرهمانِ، واشتريْتُ الثوبانِ، والسَّلَامُ عَلَاكُم"[٢٤].

---

(١٩) المنصف، شرح كتاب التصريف؛ للمازني- ص٢٥١.

(٢٠) الْمُمْتِعُ الكبيرُ في التصريف، لابن عصفور- ص٢٧٧.

(٢١) " أَيَّ قَلُوصٍ رَاكِبٍ تَرَاهَا " بإضافة قلوص إلى راكب، و[أَيَّ] استفهاميَّةٌ تعجُّبيَّةٌ، وقد اكتسبتِ التأنيثَ من [قَلُوص]؛ ولهذا أعاد الضميرَ إليها مؤنَّثًا، و[أَيَّ] منصوب، من باب الاشتغال، ويجوز رفعه على الابتداء. و[القَلُوصُ] (بفتح القاف): النَّاقةُ الشَّابَّةُ. و[طَارُوا]: أسرعوا". شرح شافية ابن الحاجب-ج٤/٣٥٦* شَالَ الشَّيْءُ شَوْلًا إذا ارتفع، والأمرُ: شُلْ بالضمِّ، ويتعدَّى بالهمزة وبالباء، فيقال: أَشَلْتُهُ، وشُلْتُ بِهِ". خِزَانَةُ الْأَدَبِ-ج٧/ص١٠٥، ١٠٦.

(٢٢) انظره في: لِسَانُ الْعَرَبِ- ج١٥/ ص٨٩. " النَّاجيَة؛ أي السَّريعة". تاج العروس-ج٤٠/ ص٢٧.

إنَّ **أثر الانسجام الصوتي بادٍ في هذه اللهجة**، وذلك بقلبهم الياء الساكنة – إذا انفتح ما قبلها- ألفًا، كما يجعلون ألف الاثنين في الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد(٢٥)، كما في [أَبَاهَا] في البيت الرَّابع، فالقياس [أبوها]، بيد أنه جاء بها على لغة من قال:[هذا أباكَ]، في وزن [هذا قَفَاكَ]؛ التزاما بالرويِّ في تفعيلة الضرب [تَرَاهَا] وهو الألف، ومعلوم أنَّ الألفَ إتيانُه رويًّا يكاد يصل إلى حدِّ النَّدْرةِ؛ إذ يتطلب ذلك أن يكون من أصل الكلمة، وهو هنا من أصل الكلمة، فالألف في [عَلَاهَا] أصله ياء ساكنة من أصل الكلمة، والألف في [أَبَاهَا] أصله واو ساكنة من أصل الكلمة – أيضًا. إذا عللنا مجيءَ [أَبَاهَا] بالألف بأنه مراعاةٌ لتفعيلة الضرب التي تشمل حروف القافية فقط في هذا الرجز؛ حيث رُوعِيَ التزامُ ألفِ الرويِّ في كلٍّ من [**تَرَاهَا، عَلَاهَا، حَقْوَاهَا، أَبَاهَا**]، فما القول في التوافق في [**عَلَاهُنَّ**]، و[**عَلَاهَا**]، وقد جيء بهما في بيت واحد، الأولى منهما في حشو البيت؟. إنَّ أيَّ تغيير في العروض أو الضرب أشدُّ خطرًا منه في غيره من تفعيلات الحشو، وبما أنَّ الشاعر قد تجاسرَ على تغيير تفعيلة الضرب في [تَرَاهَا]؛ فإنَّ ارتكابَه التغييرَ فيما سواه من تفعيلات الحشو لأهونُ عليه وأشدُّ تيسيرًا.

ألفت هنا إلى أنَّ أَمْثَلَ الأقوال في قراءة الجماعة:**[إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ}**(٢٦)، أنها على لغة بني الحارث بن كعب وبطنٍ من ربيعة في جعلهم المثنى بالألف على كل حال، كأنهم أبدلوا من الياء ألفًا؛ لانفتاح ما قبلها، وإن كانت ساكنةً، كقولهم في [ييأس]: يَاءَس(٢٧)، ومن ذلك قوله [الرَّجَزُ]:

أُحِبُّ مِنْهَا الْأَنْفَ وَالْعَيْنَانَا

وَمِنْخَرَيْنِ أَشْبَهَا ظَبْيَانَا(٢٨)

يريد: العينين. ثم إنه جاء بـ [مِنْخَرَيْنِ] على اللغة الفاشية"(٢٩). قال ابن جني:" من العرب من لا يخاف اللبس، ويُجْرِي البابَ على قياسه؛ فيدعُ الألفَ ثابتةً في الأحوال الثلاث، فيقول: قام الزيدان، وضربت الزيدان، ومررت بالزيدان. وهم بنو الحارث بن كعب، وبطنٌ من ربيعةَ"(٣٠).

الذي أراه هنا هو أن الشاعر قد ألجأته سطوة تفعيلة الضرب بما فيها من حروف القافية، وحرف الروي بسيادتِه وهيمنته إلى أن يلزم المثنى الألف في [وَالْعَيْنَانَا]، وهي معطوف على [الأنف]، وهي منصوبة، ثم عطف [مِنْخَرَيْنِ] بالنصب بالياء على الأصل؛ فلو لم يكن للقافية قوةُ تأثيرٍ لألزمَ المثنَّى في [مِنْخَرَيْنِ] الألفَ- أيضًا. الدليل على ما ذهبتُ إليه هو أن البيتين قد سبقهما أربعةُ أبياتٍ مسطورة في شرح نوادر أبي زيد **قافيتُها مطلقةٌ بالألف**، لا بالياء، فلو كان قلب الياء ألفًا لكونها في المثنى فقط- على لغة من يفرُّ من الياء في المثنى- لكانت نونُ الرفع في المثنى مكسورةً، بما لا يتوافق– أيضًا- مع القافية المطلقة بالألف؛ وذلك **مِمَّا يؤكد**

---

(٢٣) إبراز المعاني من حرز الأماني– ج٢/ ص٥٩١.

(٢٤) النَّوَادِرُ فِي اللُّغَة– ص٢٥٩* خِزَانَةُ الْأَدَبِ–ج٧/ ص٤٢٤.

(٢٥) بحوثٌ ومقالاتٌ في اللغة، أد. رمضان عبد التواب– ص٢٤٩.

(٢٦) سورةُ طه، جزءٌ منَ الآيةِ {٦٣}.

(٢٧) شرح المفصَّل، لابن يعيشَ{ت٦٤٣هـ}– ج٢/ ص٣٥٧.

(٢٨) " ظبيان: اسم رجل، وأنه على تقدير مضاف؛ أي : منخري ظبيان". خِزَانَةُ الْأَدَبِ–ج٧/ ص٤٢٦.

(٢٩) خِزَانَةُ الْأَدَبِ–ج٧/ ص٤٢٤.

(٣٠) عِلَلُ التَّثْنِيَةِ، لابن جِنِّي– ص٥٧، ٥٨* سر صناعة الإعراب–ج٢/ ص٧٠٤.

ويجزم أنَّ القلب والتغيير هنا كان لهيمنة القافية ولسطوة تفعيلة الضرب المقطوع. أما الأبيات السابقة على البيتين فهي:

إنَّ لِسُعْدَى عِنْدَنَا دِيوَانَا
يُخْزِي فُلَانًا وَابْنَهُ فُلَانَا
كَانَتْ عَجُوزًا عُمِّرَتْ زَمَانَا
وَهْيَ تَرَى سَيِّئَهَا إِحْسَانَا (٣١)

يمكن الجمع بين ما سلف بأنْ أقول: إن الشاعر استطاع بوعي واقتدار منقطع النظير الجمعَ بين اللغة الفاشية وهي الأصل وبين لهجة بني الحارث وبطن من ربيعة؛ وكان ذلك المسلك منه من جرَّاء **مراعاةِ القافيةِ التي رويُّها الألف**؛ إذ إنَّ حروف القافية فيما أنشده أبو الغُولِ من رجز هي [**رَاهَا، لَاهَا، وَاهَا، بَاهَا**]، وهي مشمولةٌ بتفعيلة الضرب [**تَرَاهَا، عَلَاهَا، حَقْوَاهَا، أَبَاهَا**].

الثَّانِي: قَلْبُ الْوَاوِ يَاءً؛ امتثالًا لوزن تفعيلةِ الضَّرْبِ، وَطَلَبًا لِلْخِفَّةِ

فيما سلف من رَجَزٍ مسطور في نوادر أبي زيدٍ: أنشدني المفضَّلُ لرجلٍ من بنِي ضَبَّةَ هلكَ مذْ أكثرَ من مائةِ سنةٍ:

إنَّ لِسُعْدَى عِنْدَنَا دِيوَانَا
يُخْــزِي فُلَانًــا وَابْنَــهُ فُلَانَا(٣٢)

ذكر صاحبُ الخِزانَةِ أنَّ " [الدِّيوَان] مكسورٌ؛ ولذا قيل:[دَوَاوِين]، مثل [قيراط - ودينار]، ولو كان [دَيْوَان] لقالوا:[دَيَاوِينُ]، وَلَأَدْغَمُوا الواحدَ؛ فقالوا:[دَيَّانٌ]، كما قالوا:[دَيَّارٌ]"(٣٣)، والأصل[دِوَّانٌ]، وقالوا:[الحَيُّ الْقَيَّامُ]، يريدون [القيُّوم]. ولغة [القيَّام] في قراءة قوله– تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُه!:[اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ](٣٤)، قرأها عمر- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ!:[الْقَيَّامُ]، مستفتحًا بها في العشاء الآخرةِ(٣٥)، وكذلك ابنُ مسعودٍ(٣٦)، أما علقمةُ فقرأ:[الْقَيِّمُ](٣٧)، وقرأ العامَّةُ:[الْقَيُّومُ](٣٨). قال أبو جعفر النحاس:" القيُّومُ فيعولٌ، الأصل فيه قَيْوُومُ، ثُمَّ وقع

(٣١) خِزَانَةُ الْأَدَبِ– ج٧/ ص٤٢٤.

(٣٢) السابق– ج٧/ ص٤٢٤، ٤٢٦.

(٣٣) السابق نفسه –ج٧/ ص٤٢٦.

(٣٤) سورةُ البقرة، جزءٌ منَ الآيةِ {٢٥٥}.

(٣٥) فضائل القرآن، للقاسم بن سلام– ص٢٩٦.

(٣٦) تفسير الطبري–ج٣/ ص١٦٣.

(٣٧) تاريخ أبي زرعة الدمشقي– ص٣١٥.

(٣٨) عن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه قال:" سمعتُ عمرَ يقرأُ:[الم* اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ }، وحدثنا أنَّ رسولَ الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!– قرأ:[الْحَيُّ الْقَيُّومُ} ". جزءٌ فيه قراءاتُ النَّبِيِّ، أبو عمر حفص بن عمر الدوري– ص٧٩.

الإدغام. والقيَّامُ الفَيْعَالُ، الأصل فيه القَيْوَامُ، ثُمَّ أُدْغِمَ. وَقَيِّمٌ فَيْعِلٌ عند البصريين، الأصل فيه قَيْوِمٌ، ثُمَّ أُدْغِمَ. وزعم الفراء أنه فَعِيلٌ"[٣٩]. وقال الفرَّاء:" وهما جميعا مَدْحٌ، وأهل الحجاز أكثرُ شيءٍ قولًا لِلْفَيْعَالِ من ذوات الثلاثة، مثل: الصَّوَّاغ، يقولون: الصَّيَّاغ"[٤٠].

والمعاقبة بين الواو والياء لها أثرٌ سابغٌ، ودور بالغ في هذه التغييرات الصوتية الصرفية؛ تبعا للثقل والخفَّةِ؛ إذ هي في الأصل لهجاتٌ، فالياء امتدادٌ للكسرة الخاصَّةِ بالحجازيِّين، والواو امتدادُ الضَّمَّةِ الخاصَّةِ بلهجة بني تميم.

ذكر ابن جنِّي أنَّ [دِيوَان] أصله " دوان، ومثاله فِعَّال، والنون فيه لام؛ لقولهم: دونته، ودواوين، وَدُوَيْوِين. ولمْ تُقْلَبِ الواوُ في [دِيوَان] وإن كانت قبلها ياءٌ ساكنةٌ من قِبَلِ أنَّ الياء غيرُ لازمة؛ **وإنَّمَا أُبْدِلَتْ مِنَ الوَاوِ تَخْفِيفًا**، ألا تراهم قالوا: دواوين، لَمَّا زالتِ الكسرةُ من قبل الواو، على أنَّ بعضهم قد قال: دياوين. فأقرَّ الياء بحالها، وإن كانت الكسرة قد زالت من قبلها، وأجرى غيرَ اللازم مجرى اللازم، وقد كان سبيله إذا أجراها مجرى الياء اللازمة أن يقول: ديَّان، إلا **أنه كره تضعيف الياء**"[٤١]؛ أي أنه قد " جرت الياء في [دِيوَان] في أنها غيرُ لازمةٍ مَجْرَى الواو في [سوير]؛ لأنها غير لازمةٍ؛ فلم تُقْلَبْ هذه، كما لم تُقْلَبْ هذه"[٤٢].

مِمَّا سلفَ يَستبينُ الغرضُ من القلب بأنَّه طلب الخِفَّةِ وإرادتُها؛ إذ يبدو القلب ليس ناتجًا أو ناجمًا عن الكسرة، بل لِمَا تقدَّمَ **من الاستروح إلى انقلابِها**، ودلالةٌ على تمكُّنِ القلب في الواحد، حتَّى كأنَّ الياء أصلٌ فيه[٤٣]، ينضاف إلى ذلك أنَّ **لتفعيلة الضرب** التي هي العروض في ذات البيت [دِيوَانَا]، و[فُلَانَا] تأثيرا في ذلك الإعلال؛ فالأولى على وزن [مُسْتَفْعِلْ] المقطوع، والثانية على وزن [مُتَفْعِلْ] المخبون المقطوع.

ومن أمثلة قلب الواو ياءً؛ مراعاةً لوزن تفعيلة الضَّرب ورويِّها ما أنشده أبو زيدٍ لعمرِو بنِ مِلْقَطٍ الجاهليِّ:

وَالْخَيْلُ قَدْ تُجْشِمُ أَرْبَابَهَا الـ شِّـقَّ وَقَـدْ تَعْتَسِـفُ الدَّاوِيَـهْ[٤٤]

أما [الدَّاوِيَـهْ] فـي قـول ابـن مِلْقَطٍ فهـي [الدَّاوِيَّـهْ] بتشديد الياء تعنـي " المفازة الملساء"[٤٥]، والبريّة القفْر التي لا نبات بها، وغير الموافِقة للعيش فيها، وقد " خُفِّفَتِ الياءُ للضرورةِ"[٤٦]. ثمة رأي آخر ذكره ابنُ جنِّي عن شيخه الفارسي:" وأما ما قرأته على أبي عليٍّ في نوادر أبي زيد من قول عمرو بن ملقط جاهلي... فإن شئت قلت: إنه بنى من [الدَّوِّ] فاعلة، فصارت في التقدير [دَاوِوَة]، ثم قَلَبَ الواوَ الآخرة التي هي لامٌ ياءً؛ لانكسار ما قبلها، ووقوعها طرفا؛ فصارت [دَاوِيَة]، وإن شئت قلت: أراد [الداوِيَة] المحذوفة اللام كـ [الْحَانِيَّة]، إلَّا أنَّه خفَّفَ ياءَ الإضافة، كما خفَّف الآخرُ فيما أنشده أبو زيد، وأنشدَنَاهُ أبو علي [الكامل]:

---

(٣٩) إعراب القرآن، النحاس–ج١/ص٣٥٤.

(٨) معاني القرآن، الفراء– ج١/ص١٩٠* تهذيب اللغة–ج٩/ص٢٦٨* لِسَانُ الْعَرَبِ–ج١٢/ ص٥٠٤.

(٤١) سِرُّ صناعة الإعراب–ج٢/ ص٧٣٥.

(٤٢) المنصف، للمازني–ج٢/ ص٣١.

(٣) اللهجات العربية: نشأةً، وتطوُّرًا– ص٢٤٨.

(٤٤) السريع. وستأتي القصيدة كاملة في هذا المبحث.

(٤٥) المحيط في اللغة– ج٩/ ص٣٨٩.

(٤٦) خِزَانَةُ الْأَدَبِ–ج٩/ ص٢٥.

بَكِّـي بَعَيْنِـكِ وَاكِـفَ الْقَطْـرِ اِبْـنَ الْحَـوَارِي الْعَـالِيَ الـذِّكْرِ[٤٧]

يريد: ابن الحواريِّ"[٤٨]. وذكر القاري صاحب المرقاة أن الإمام مسلمًا ذكر ذلك " في رواية أخرى بزيادة الألف، وهي بتشديد الياء"[٤٩]، ثم ردَّ هذا الرأيَ بأنَّ " في قوله: {بزيادة الألف} مسامحة؛ إذ ينافيها الإبدالُ، فكأنه أراد الزيادةَ اللُّغويةَ لا الصرفيةَ الوزنيةَ"[٥٠]، ثُمَّ رَجَّحَ هو بقوله:" وأمَّا الداويَّة فبإبدال إحدى الواويْنِ ألفًا"[٥١]، دونما تحديدٍ، بيد أنَّ الزبيديَّ حَدَّدَ الواوَ بقوله:" قلبوا الواو الأولى الساكنة ألفًا؛ لانفتاح مَا قبلها"[٥٢].

الحاصل من ذلك كلِّهِ أنَّ هيمنة تفعيلة الضرب برويِّها الياء ووزنها هي التي ألجأتِ الشاعرَ الجاهليَّ ابنَ مِلْقَطٍ واضطرَّتْهُ إلى قلب الواو الأخيرة التي هي واوٌ من [دَاوِوَة] التي على وزن فاعلة ياءً.

كذلك **من مراعاة وزن تفعيلة الضرب وهيمنة حرف الروي فيها** ما تمثله المعرِّيُّ منْ وزنٍ ومعنًى وكأنه يُعارض ابنَ مِلْقَطٍ [السَّريع]:

فَاهْرَبْ مِنَ الْإِنْسِ إِلَى الْوَحْشِ كَيْ تَسْـــكُنَ بِالدَّوِّيَّـــةِ الدَّاوِيَـــهْ[٥٣]

الثَّالِثُ: فَكُّ الإِدْغَامِ مَطْلَبٌ قَافَوِيٌّ، وَإجراءٌ على الأصل

قال أبو النَّجْمِ الْعِجْلِيّ[الرَّجَز]:

الْحَمْـدُ لِلّهِ الْعَلِيّ الْأَجْلَلِ[٥٤]

الْوَاسِعِ الْفَضْلِ الْوَهُوبِ الْمُجْزِلِ[٥٥]

أَعْطَى فَلَمْ يَبْخَلْ وَلَمْ يُبَخَّلِ[٥٦]

القياس " الأجلّ، فأظهرَ التضعيفَ"[٥٧]؛ وجعل ابنُ منظورٍ إظهارَ التضعيفِ هنا **ضرورةً**[٥٨]. وكذلك المراديُّ بقوله:" وقد شذَّ الإظهارُ– أيضًا- في كلماتٍ من الأسماء، منها قولهم:[رجل ضفففُ الحالِ]، و[محبب]، وحكى أبو زيد [طعامٌ قضضٌ] إذا كان فيه يَبَسٌ، **ولا يجوز القياسُ**

---

(٤٧) البيت للشاعر الأُمويِّ عُبَيد اللهِ بنِ قَيْسِ الرُقَيّات {ت٨٥ هـ}.

(٤٨) سر صناعة الإعراب– ج٢/ ص٦٧٢.

(٤٩) مرقاة المفاتيح– ج٥/ ص٢٦٥.

(٥٠) السابق– ج٥/ ص٢٦٥.

(٥١) السابق نفسه– ج٥/ ص٢٦٥.

(٥٢) تاج العروس– ج٣٨/ ص ٧٩.

(٥٣) ديوان أبي العلاء المعري– ص١٨٢٣.

(٥٤) المقتضب–ج١/ ص٢٥٣.

(٥٥) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك–ج٤/ ص٤١٢.

(٥٦) لِسَانُ الْعَرَبِ–ج١١/ ص١٦٦.

(٥٧) المنصف، للمازني–ج١/ ص٣٣٩ ،الأصول في النحو، لابن السراج–ج٣/ ص٤٤٢.

(٥٨) لِسَانُ الْعَرَبِ–ج١١/ ص١١٦.

على شيء من هذه المفكوكات، وما ورد من ذلك في الشعر عُدَّ من الضرورات، كقول أبي النجم:.." [٥٩]. وجعلها السمين الحلبي " مِنْ مخالفةِ القياس اللغوي"[٦٠].

وقال شيخُ الرُّجَّازِ العجَّاجُ [الرَّجَز]:

تَشْكُو الْوَجَى مِنْ أظْلُلٍ وَأظْلُلِ[٦١]

القياس [مِنْ أظَلّ وَأظَلّ].

وقال قَعْنَبُ ابنُ أمِّ صاحبٍ الغطفاني [البسيط]:

مَهْلًا أَعَاذِلَ قَدْ جَرَّبْتِ مِنْ خُلُقِيْ أنِّـــي أجُـــودُ لِأقْـــوَامٍ وإنْ ضَنِنُوا[٦٢]

قال الرضِيُّ:" على أنَّ [ضَنِنُوا] **شاذٌّ للضرورة،** والقياس [ضَنُّوا] بالإدغام، وأنشده سِيبَوَيْهِ في موضعين من كتابه: الأول في باب ما يحتمل الشعر من أول كتابه، والثاني في باب اختلاف العرب في تحريك الآخر من أواخر كتابه"[٦٣].

وقال عُرَيبُ بنُ ناشبٍ [الطَّويل]:

أَلَـــمْ تَـــرَ أنَّ الْمَالِكِيَّـــاتِ قَـــادَنِي هَوَاهُنَّ حَتَّى كِدْتُ فِي الْغَيِّ أَلْجُجُ[٦٤]

والقياس [ألجُّ]، فجاء به بغير إدغام، والعرب تقول:" قد عَلَتْ ذاكَ بناتُ أَلْبُبِه. يَعْنُونَ:[لُبِّهِ]"[٦٥]. وروي عن الحسن في قولـه– جَلَّ جَلالُـهُ!:**[الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ]**[٦٦]، أنـه " قرأ {وَعَدَدَهُ} بالتخفيف، وهي قراءةٌ شاذَّةٌ، إنْ كان يريد [عَدَّهُ]، ثم أظهر التضعيف"[٦٧].

لا جرم أن الإدغام من الظواهر التي عُنِيَ بها العلماء القدامى والمحدثون، وهو يَعْني – لدى المحدثين- نزعةَ صوتَيْن إلى التماثُلِ؛ أي الاتصاف بصفات مشتركة تُسَهِّل اندماج أحدهما في الآخر، ويقع ذلك خاصة في الحروف المتقاربة المخارج[٦٨]، فهو ضربٌ من المماثلة

---

(٥٩) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك–ج٣/ ص١٦٤٣.

(٦٠) الدر المصون–ج٨/ ص٦٧٤.

(٦١) المقتضب–ج١/ ص٢٥٢.وانظر: ديوان العجاج برواية الأصمعي وشرحه– ص ١٥٥، وفيه:" الأظلّ : ما تحت المَنْسِم، والوَجَى: الحفى، وإنما هو الأظلّ، ولكن أظهر التضعيف". والبيت منسوب إلى رؤبة في شرح الشاطبي على الألفية–ج٩/ ص ٤٤٥.

(٦٢) كتابُ سِيبَوَيْهِ–ج١/ ص٢٩.

(٦٣) شرح شافية ابن الحاجب–ج٤/ ص٤٩٠.

(٦٤) كتاب سِيبَوَيْهِ–ج١/ ص٢٩.

(٦٥) السابق–ج٣/ ص١٩٥.

(٦٦) سورة الهُمَزَة، الآية {٢}.

(٦٧) إعراب القرآن، النحاس–ج٥/ ص٢٨٨.

(٦٨) الإدغام في علم اللغة الحديث– ص٢٤، ٢٥.

الصوتية الكاملة[٦٩]. وهو عند القدامى يعني إيصال حرفٍ ساكن بحرف مثله متحركٍ من غير أنْ تفصلَ بينهما بحركةٍ أو وَقْفٍ، فيصيران لشِدَّةِ اتصالِهما كحرفٍ واحدٍ، يرتفع اللسانُ عنهما رَفْعَةً واحدة شديدة؛ فيصير الحرف الأوَّلُ كالمستهلَك على حقيقة التداخل والإدغام، نحو [شَدَّ]، و[مَدَّ][٧٠].

يكاد النحويون يُجمعون على أن إظهار التضعيف هو مِنْ أَجْلِ الضرورة، قال سِيبَوَيْهِ:" واعلم أنَّ الشعراء إذا اضطروا إلى ما يجتمع أهلُ الحجاز وغيرُهم على إدغامه أجْرَوْهُ على الأصل"[٧١]. قال العُكْبَرِيُّ:" يجوز له إظهارُ المدغم؛ لأنَّه الأصلُ، كما أنَّ الأصلَ التصحيحُ"[٧٢].

إنَّ فكَّ الإدغام لغةُ الحجازيِّينَ؛ إذْ كانوا يلتزمون الإظهارَ، ويحترزون من تأثُّرِ الأصوات المتجاورة بعضِها ببعض، وهذا لا يتأتَّى إلا بمراعاة الدقَّةِ في النطق والتأنِّي والتُّؤَدَةِ في الأداء؛ بحيث يُظهرون كلَّ صوتٍ، ويُعطونه حقَّه من جهر وهمس، أو شِدَّة ورخاوة[٧٣]. وقد وصف سِيبَوَيْهِ لغة الحجازيِّينَ بأنَّها اللغة العربية القديمة الجيدة بقوله:" ودعاهم سكونُ الآخر في الْمِثْلَيْنِ أنْ بَيَّنَ أهلُ الحجاز في الْجَزْمِ؛ فقالوا: اُرْدُدْ، ولا تَرْدُدْ. **وهي اللغة العربية القديمة الجيدة**، ولكنَّ بني تميم أدغموا، ولم يُشبِّهوها بـ [رَدَدْتُ]؛ لأنَّه يدركها التثنيةُ، والنونُ الخفيفةُ والثقيلةُ، والألفُ واللامُ، وألفُ الوصل؛ فتُحَرَّكُ لَهُنَّ. فإذا كان هذا في الْمِثْلَيْنِ لم يَجُزْ في المتقارِبَيْنِ إلَّا البيانُ"[٧٤].

ذلك، والذي أراه هو أنَّ فكَّ الإدغام هو الأصل، وهو اللغة الجيدة التي أشاد بها سِيبَوَيْهِ، كما أنَّ **فكَّ الإدغام في الشواهد الشعرية آنفةِ الذكر مطلبٌ قافويٌّ؛ حيث إن تفعيلة الضرب تنشده، والوزن يستلزمه، وبدون فك الإدغام ينكسر الوزن، وتتباين القافية**، وأذهب في ذلك إلى ما ذهب إليه أحد الباحثين من أنَّ فكَّ الإدغام فيما سلف من شواهدَ شعريةٍ من أجل التخلُّص من المقطع الطويل الذي لا تتحمَّلُه أوزانُ الشعر العربي في هذا الموقع[٧٥]. وهذا المقطع هو من مقاطع خمسة في الفصحى[٧٦]. صفوة القول أنَّ فَكَّ الإدْغَامِ إجراءٌ على الأصل، وليس اضطرارًا إلَّا لسطوة وزنِ تفعيلة الضرب، وهيمنة القافية، ولكونه الأنفعَ والأجدى للوزن– أيضًا- لكونه تَخَلُّصًا مِنْ مَقْطَعٍ لَا تَتَحَمَّلُهُ أَوْزَانُ الشِّعْرِ.

---

(٦٩) راجع: دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر– ص٣٨٧.

(٧٠) شرح المفصَّل– ج١٠/ ص١٢١.

(٧١) كتاب سِيبَوَيْهِ–ج٣/ ص٥٣٥.

(٧٢) اللباب في علل البناء والإعراب–ج٢/ ص٩٩.

(٧٣) اللهجات العربية: نشأة، وتطوُّرًا– ص٦٦.

(٧٤) كتاب سِيبَوَيْهِ–ج٤/ ص٤٧٣.

(٧٥) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية– ص١٢١.

(٧٦) " وأنواع المقاطعِ العربيةِ في الفصحى خمسةٌ: مقطع قصيرٌ مفتوحٌ، وهو ما تَكَوَّنَ من صوتٍ صامتٍ وحركةٍ قصيرةٍ؛ مثل: كَ (ka)، ومقطعٌ طويلٌ مفتوحٌ، وهو مَا تكوَّنَ من صوتٍ صامتٍ، وحركةٍ طويلةٍ؛ مثل في (fi)، ومقطعٌ طويلٌ مغلقٌ حركته قصيرةٌ، وهو مَا تكوَّنَ من صوتيْنِ صامتيْنِ بينهما حركةٌ قصيرةٌ؛ مثل: مِنْ (min)، ومقطعٌ طويلٌ مغلقٌ حركتُهُ طويلةٌ؛ مثل بابْ (bab) في الوقفِ، ومقطعٌ زائدٌ في الطول، وهو ما بدأ بصوتٍ صامتٍ، ثمَّ حركةٍ قصيرةٍ، ثمَّ يُختَمُ بصوتيْنِ صامتيْنِ متتَالِيَيْنِ؛ مثل: بِنْتْ (bint) في الوقف". فصول في فقه العربية– ص٢٠٦.

الرَّابِعُ: تَضْعِيفُ الْحَرْفِ الْمَوْقُوفِ عَلَيْهِ؛ امتثالًا لتفعيلةِ الضَّرْبِ، وَإِرَادَةَ الْبَيَانِ

الوقفُ من السنن التي جُبِل عليها جهازُ النطق لدى الإنسان، ويُقْصَدُ به " قطعُ الكلمة عمَّا بعدها ... أي أنْ تسكتَ على آخرها قاصدًا لذلك مختارًا؛ لجعلها آخرَ الكلام، سواءٌ كان بعدها كلمةٌ أو كانت آخرَ الكلام"(٧٧)؛ وذلك " بِنِيَّةِ استئناف القراءة؛ إمَّا بِمَا يلي الكلمةَ الموقوفَ عليها، أو بِمَا قبلها، لا بِنِيَّةِ الإعراض"(٧٨). ومن مظاهر الوقف تضعيفُ الحرف الموقوفِ عليه، ويُعَدُّ ذلك نقيضًا لِمَا سَلَفَ من فكِّ الْمُدْغَمِ، قال سِيبَوَيْهِ:" وأمَّا التضعيفُ فقولك: هذا خالدٌّ، وهو يجعلُ، وهذا فرجٌّ، حدثنا بذلك الخليلُ عن العرب؛ ومِنْ ثَمَّ قالت العرب في **الشعر في القوافي**: سَبْسَبًّا يريد السبسب، وعَيْهَلَّ يريد الْعَيْهَلْ"(٧٩)، فهُمْ " يُثَقِّلُونَ ما ليس بثقيلٍ ... لأنَّ قومًا من العرب يقولون: هذا خالدٌّ، فَيُثَقِّلُونَ في الوقف، وأجازوه في الإطلاقِ. جعلوه كأحرفٍ تُزادُ في الكلام"(٨٠). **فنبر الحرف الأخير الموقوف عليه للبيان، وكذلك هو مطلب قافويٌّ تستلزمه القافية والوزن** معًا، ومن ذلك قول أَبِي سِعْرٍ مَنْظُورِ بنِ مَرْثَدٍ الأزدِيِّ [الرَّجَز]:

سَلِّ وَجْدَ الْهَائِمِ الْمُغْتَلِّ
بِبَازِلٍ وَجْنَاءَ أَوْ عَيْهَلِّ
كَأَنَّ مَهْوَاهَا عَلَى الْكَلْكَلِّ
وَمَوْقِعًا مِنْ ثَفِنَاتٍ زُلِّ
مَوْضِعَ كَفِّيْ رَاهِبٍ يُصَلِّي(٨١)

قال المازني:" يريد العيهلّ والكلكلّ، وهذا أكثر من أنْ أضبطَه لك؛ لِسَعَتِهِ وكثرتِه، والذي أذكرُ منه ومن أشباهه فوق ما يحتاج إليه؛ استظهارًا وتأنيسًا بالأمثال والنظائر، فإنَّ سِيبَوَيْهِ كثيرًا ما كان يعتمد في كتابه على إيراد النظائر؛ لِيُؤْنَسَ بِهَا، فكذلك أجرى الشاعرُ قوله:

أَنَا سَيْفُ الْعَشِيرَةِ فَاعْرِفُونِي فِي الْوَصْلِ مَجْرَاهُ وَفِي الْوَقْفِ(٨٢)

أشار أبو عليٍّ الفارسيُّ إلى أنَّ " الشاعر **لإقامة الوزن جعل الوصل كالوقف**"(٨٣)، وقد أشار إلى ذلك ابن فارسٍ في تناوله الرجزَ السالف: بأنَّ الراجزَ " شدَّدَ اللَّامَ؛ **للحاجة إلى ذلك**"(٨٤)؛ **أي لسطوة وزن تفعيلة الضرب وهيمنة القافية معًا**. أشار أبو عليٍّ الفارسيُّ – أيضًا- إلى أنَّ التضعيفَ لإرادة البيان:" فأمَّا العيهلّ والكلكلّ فاستعمالهم بتخفيف اللَّامِ، فقدَّر الوقفَ عليه، **فضاعَفَ؛ إرادةً للبيان**، وهذا ينبغي أن يكون في الوقف دون الوصل؛ لأنَّ ما يتصل به في

---

(٧٧) شرح شافية ابن الحاجب- ج٢/ ص٢٧١.

(٧٨) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري{٨٣٣هـ}- ج١/ ص٣٣.

(٧٩) كتاب سِيبَوَيْهِ-ج٤/ ص١٦٩.

(٨٠) القوافي، للأخفش الأوسط- ص٩٠.

(٨١) مجالس ثعلب- ص٥٣٥.

(٨٢) المنصف-ج١/ ص١١.

(٨٣) كتاب الإغفال، لأبي علي الفارسي-ج٢/ ص٣٢١.

(٨٤) مقاييس اللغة-ج٤/ ص١٧٣.

الوصل يُبَيِّنُ الحرفَ وحركتَه؛ فَمَنْ ثَمَّ قال مَنْ قال في الوقف: هذا خالدٌ. فإذا وَصَلَ قال: هذا خالدٌ كما ترى"[٨٥]؛ من أجل ذلك أشار إبراهيم أنيس إلى أنَّ الوقفَ بالنَّقْلِ يَستلزم أحيانًا التضعيفَ؛ لِمَا في التضعيف مِنْ **تقويةٍ لِلنَّبْرِ**[٨٦].

جديرٌ بالذكر **أنَّ القوافيَ في الشواهد السالفة بحاجة إلى زيادة حرف المدِّ الناتج عن الإشباع بعد التضعيف، فالتضعيف المتأتِّي في الوقف مستمرٌّ في الوصل، ومِنْ ثَمَّ يُتْبِعُونَهُ حروفَ الصلة، كما يُلْحِقُونَها في القوافي التي ليست فيها تلك الحروف؛ وذلك للضرورة**، كما أشار إلى ذلك سِيبَوَيْهِ في أكثرَ من موضع من كتابه[٨٧]. فإذا كان قد ثبت فيما سلف أن لوزن تفعيلة الضرب أثرًا بيِّنًا في تغيير البنية الصرفية إعلالًا؛ فإنَّ لوزن تفعيلات الحشو بعامَّةٍ تأثيرا في ذلك، وإنْ لمْ يكن بقوة وزن تفعيلة الضرب ورويِّها وهيمنتهما.

ثَانِيًا: أَثَرُ [الْوَزْنِ] فِي مُغَايَرَةِ الْبِنْيَةِ

أسوق لذلك هنا نموذجين دالَّيْنِ:

الأَوَّلُ: قَلْبُ الْيَاءِ أَلِفًا؛ مُرَاعَاةً لِلْوَزْنِ، وَطَلَبًا لِلْخِفَّةِ

ثمة معاقبة بين الألف والياء؛ مُرَاعَاةً لِلْوَزْنِ، وَطَلَبًا لِلْخِفَّةِ- أيضًا- فيما أنشد ابنُ الأعرابيِّ من قول الشاعر الجاهلي عمرو بنِ مِلْقَطٍ الطَّائِيِّ، وإن لم يكن لتفعيلة الضرب تأثيرٌ فيه، إذ التأثير آتٍ من متطَلَّبِ تفعيلةٍ من تفعيلات الحَشْوِ، هي التفعيلة الأولى من الشطر الثاني [السَّرِيع]:

إِنَّـكَ قَـدْ يَكْفِيـكَ بَغْـيَ الْفَتَـى وَدَرْأُهُ أَنْ تُـــرْكَضَ الْعَالِيَـــهْ

بِطَعْنَـةٍ يَجْـرِيْ لَهَـا عَانِـدٌ كَالْمَـــاءِ مِـــنْ غَائِلَـــةِ الْجَابِيَـــهْ

يَـا أَوْسُ لَـوْ نَالَتْـكَ أَرْمَاحُنَـا كُنْـتَ كَمَـنْ تَهْـوِي بِـهِ الْهَاوِيَـهْ

أَلْفِيَتَـــا عَيْنَـــاكَ عِنْـــدَ الْقَفَـــا أَوْلَـــى فَـــأَوْلَى لَـــكَ ذَا وَاقِيَـــهْ

ذَاكَ سِـنَانٌ مُحْلِـبٌ نَصْـرُهُ كَالْجَمَـــلِ الْأَوْطَـــفِ بِالرَّاوِيَـــهْ

يَـــا أَيُّهَـــا النَّاصِـــرُ أَخْوَالَـــهُ أَأَنْـــتَ خَيْـــرٌ أَمْ بَنُـــو جَارِيَـــهْ

أَمْ أَخْـــتُكُمْ أَفْضَـــلُ أَمْ أَخْتُنَـــا أَمْ أَخْتُنَـــا عَـــنْ نَصْـــرِنَا وَانِيَـــهْ

وَالْخَيْلُ قَدْ تَجْشِمُ أَرْبَابَهَا الـ شِّـــقَّ وَقَـــدْ تَعْتَسِـــفُ الدَّاوِيَـــهْ

---

(٨٥) المسائل العسكريات في النحو العربي- ص١١٩.

(٨٦) اللهجات العربية في التراث-ج٢/ ص٤٨٨، اللهجات في الكتاب لسِيبَوَيْهِ- ص٣٥٥.

(٨٧) انظر: كتاب سِيبَوَيْهِ- ج١/ص٢٩، ج٤/ص١٦٩.

يَـأبَى لِـيَ الثَّعْلَبَتَـانِ الّـذِي قَـالَ ضِـرَاطُ الْأَمَـةِ الرَّاعِيَـهْ

ظَلّـتَ بِـوَادٍ تَجْتَنِـي صَـمْغَةً وَاحْتَبَلَـتْ لَقْحَتَهَـا الْآنِيَـهْ

ثُـمَّ غَـدَتْ تَنْـبِضُ أحْرَادُهَـا **إنْ مُتَغَنّـاةً** وَإنْ حَادِيَـهْ[٨٨]

أراد ابنُ مِلْقَطٍ في البيت الأخير" إنْ مُتَغَنِّيَةً، **فَاضْطُرَّ؛ فَحَوَّلَهُ إِلَى لَفْظِ الْمَفْعُولِ**، وقد يجوزُ أن يكون هذا كقَوْلِهم: النَّاصَاةَ في النّاصِيَةِ، والقارَاةَ في القارِيةِ، **يَقْلِبونَ الياء أَلِفًا؛ طَلَبًا للخِفَّةِ"**[٨٩]. في قول ابْنِ سِيدَهْ السالف:**{ فَاضْطُرَّ؛ فَحَوَّلَهُ إِلَى لَفْظِ الْمَفْعُولِ}** لفتةٌ راشدةٌ، بها **مزيدُ إيضاح لمدى سطوة الوزن لغير تفعيلة الضرب في تغيير البينية الصرفية** في { مُتَغَنَّاةً }؛ حيثُ إنَّ الشاعر لو قال:{مُتَغَنِّيَةً} اسمَ فَاعِلٍ لانكسر وزن السريع؛ حيث إن الوزن بعد القلب هو:

إنْ مُتَغَنْـ / ـنَاةً وَإنْ / حَادِيَهْ

o//o/ / o//o/ o/ / o///o/

فَاعِلُنْ / سالمة / مُسْتَعِلُن

مطويَّةٌ / سالمةٌ / مطويةٌ مكسوفةٌ

أما الوزنُ قبل إجراء القلب فكما يأتي:

إنْ مُتَغَنْـ / ـنِيَةً وَإنْ / حَادِيَهْ

o//o/ / o//o/// / o///o/

فَاعِلُنْ / مكسورةٌ / مُسْتَعِلُن

مطويَّةٌ / مكسورةٌ/ مطويَّةٌ مكسوفةٌ

أي أنَّ الوزنَ بسطوته هو الذي ألجأه إلى تحويل الصيغة من اسم الفاعل [مُتَغَنِّيَة] إلى اسم المفعول [مُتَغَنَّاة].

نمُوذَجٌ آخَرُ لِقَلْبِ الْيَاءِ أَلِفًا؛ مُرَاعَاةً لِلْوَزْنِ:

في قول الشاعر[الطَّوِيل]:

بِـرِيحٍ مِـنَ الْكَـافُورِ وَالْمِسْـكِ أَبْرِمَـتْ بِهِ شُعَبُ الْأَوْدَاهِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ[٩٠]

قال الْمَعَرِّي {٤٤٩هـ}:" **الأوداه: الأوديَةُ، قَلَبَ الياءَ ألفًا**، كما يقولون: ناصاة. يريدون ناصيةً، وهي لغةٌ لطيِّئٍ، ويفعلون ذلك فيما جَانَسَ هذه الياءَ، فيقولون: قوسٌ باناةٌ. يريدون: بانيةً على

---

(٨٨) رسالة الصَّاهِل والشَّاحِج، أبو العلاء المعري– ص٤٠٠* " تَنْبِضُ: تضطربُ. تقول: رَأيتُ وَمضَةَ برْقٍ، كنَبضَةِ عِرْقٍ". تاج العروس–ج١٩/ ص٦٨* القصيدة اثنا عَشَرَ بيتًا، أوردها أبو زيد وابن الأعرابي في نوادِرِهِمَا. راجع: خِزَانَةَ الْأَدَبِ–ج٩/ ص٢١.

(٨٩) المحكم والمحيط الأعظم–ج٨/ ص٢١٣.

(٩٠) الفصول والغايات، أبو العلاء المعري– ص١٣٦.

وترها، وَأَمَةٌ متغناة. يريدون: مُتَغَنِّيَةٌ ... وهو كثير في أشعار الطائيِّينَ. وربما وُجِدَ في أشعار غيرهم من العرب، وقد كان جاورهم امرؤُ القيس؛ فجاء بشيء من هذه اللغة"(٩١).

لو قال الشاعر:{الْأَوْدِيَة} لانكسر الوزن؛ حيث إن الوزن بعد القلب هو:

بِهِ شُـ / ـعَبُ الْأَوْدَا / هِ مِنْ كُلْ / لِ جَانِبِ

o//o/ / o/ o// / o/ o/o// / / o//

فَعُولُ / مَفَاعِيلُنْ / فَعُولُنْ / مَفَاعِلُنْ

مقبوضة / سالمة / سالمة / مقبوض

أما الوزن قبل إجراء القلب فهو:

بِهِ شُـ / ـعَبُ الْأَوْدِيَـ / ـةِ مِنْ كُلْ / لِ جَانِبِ

o//o/ / o/ o/// / // o/o// / / o//

فَعُولُ / مكسورة / مكسورة / مَفَاعِلُنْ

مقبوضة / مكسورة / مكسورة / مقبوض

ذلكم، ومن مظاهر الخِفَّة أنَّ ابن جِنِّي في باب الاتِّبَاع قد علَّل نَدْرَةَ باب [فِعِلَ]، وكثرة باب [فُعُل]، مع أن الضَّمَّة أثقلُ من الكسرة وأقوى، إلَّا أنَّه قد يحتمل لهذه القوة ما لا يحتمل للضَّعف، بالإضافة إلى أنَّ " العرب يحذفون الشيء وفي كلامهم ما هو أثقلُ منه، ويستثقلون الشيء وفي كلامهم ما هو أثقلُ منه مِمَّا يتكلَّمون به؛ **فعلوا هذا لئلا يكثُرَ في كلامهم ما يستثقلون**. وكل ما فعلوه فله مذهبٌ وحكمةٌ؛ فضعِ الأشياءَ حيثُ وضعوا، واتقِ ما اتَّقَوْا، وقِسْ على ما أجْرَوْا تُصِبِ الحقَّ"(٩٢).

وذكر أبو الفتح أنَّ " الضمَّةَ وإنْ كانت أثقلَ من الكسرة فإنَّها أقوى منها، وقد يُحْتَمَلُ للقوَّة مالا يُحْتَمَلُ للضَّعف، ألا ترى إلى احتمال الهمزة مع ثقلها للحركات، وعجز الألف عن احتمالِهِنَّ وإنْ كانت خفيفةً؛ لضعفها وقوةِ الهمزة، وإنَّما ضَعُفَتِ الكسرةُ عن الضَّمَّة؛ لِقُرْبِ الياءِ من الألفِ، وَبُعْدِ الواوِ عنها"(٩٣). وكذلك فإنَّ العرب " إنما رفعوا الفاعل، ونصبوا المفعول؛ لِقِلَّةِ الفاعلين وكثرة المفعولين، فجعلوا الفتح فيما يكثُر، والضَّمَّ فيما يقِلُّ؛ **لئلا يكثُر في كلامهم ما يستثقلون**"(٩٤)، وقصدًا للتعادل- أيضًا.

الثانِيَ: حَذْفُ الْوَاوِ مِنْ مُضَارِعِ الْفِعْلِ الْمِثَالِ؛ مُرَاعَاةً لِلْوَزْنِ

قال عديُّ بنُ زيْدٍ [الطَّويل]:

إِذَا أَنْـتَ فاكَهْـتَ الرِّجَـالَ فَـلا تلِـعْ وَقُلْ مِثْلَ مَا قَالُوا وَلا تَتَزَيَّدِ(٩٥)

وقال رجلٌ من تميم [الطَّويل]:

---

(٩١) السابق- ص١٣٦.

(٩٢) المنصف-ج٢/ ص٢٩٩.

(٩٣) الخصائص- ص٦٩.

(٩٤) المنصف-ج١/ ص١٩٠.

(٩٥) جمهرة أشعار العرب- ص١٥٣* الزهرة- ص٧٤١.

وَلِــعْ بِالّــذِي تَهــوَى الــتِّلادَ؛ فَإِنّــهُ إِذَا مِتَّ كَانَ الْمَالُ نَهْبًا مُقَسَّمَا[٩٦]

الواو في و[وَلِعْ] للعطف، والفعل من وَلَعَ يَلِعُ، مثل وَعَدَ يَعِدُ، أو منْ وَلِعَ يَلَعُ، مثل وَسِعَ يَسَعُ. وإذا وقعت الواو فاءً لـ [فَعَلَ]، ومضارعه [يَفْعِلُ]، فإن الواو تُحذف في المضارع، مثل: وَعَدَ يَعِدُ؛ وذلك لوقوع الواو بين الياء والكسرة، فقد " **كرهوا الواو بين ياءٍ وكسرة**ٍ؛ إذ كرهوها مع ياء، فحذفوها، فهم كأنهم إنما يحذفونها من [يَفْعِلُ]"[٩٧]. فلمَّا كان في اجتماع الياء والواو والكسرة ثِقَلٌ حُذِفَتِ الواوُ، وذلك رأي البصريين.

أما الكوفيون فيرَوْن أن العلة في حذف هذه الواو هي **للتفرقة بين المتعدي واللازم**؛ حيث تبقى في المضارع اللازم، وتسقط في المضارع المتعدِّي، ودللوا على ذلك أن الواو حُذِفَتْ في [نَعِدُ]، و[تَعِدُ]، ولم تقع الواوُ فيها بين الياء والكسرة، والعرب تقول:[وَجِلَ يَوْجَلُ]، ففي قوله– **تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُه!:[** قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ**]**[٩٨] قال أبو عبيدة:" ويقال:[لا تَيجَل، ولا تَأجَلْ]؛ بغير همز، ولا تأجل بِهَمْز، يجتلبون فيها همزة، وكذلك كلُّ مَا كان من قبيل [وَجِل يَوْجَل ووِحل يَوْحل، ووسِخَ يوسَخ]"[٩٩]. فلم تُحْذَفِ الواوُ؛ لأن الفعل لازمٌ، كما أنَّ العرب تقول:[وسِع يسَع، ووضَع يضَع]، ونحو ذلك، فحذفت الواو وليس ثَمَّةَ كسرةٌ بعد الواو؛ مِمَّا يؤكِّدُ أنَّ العلة هي التفريقُ بين اللازم والمتعدي. قال الأنباري:" أمَّا الكوفيون فاحتجوا بأنْ قالوا: إنَّما قلنا ذلك؛ لأن الأفعال تنقسم إلى قسمين إلى فعل لازم، وإلى فعل متعدٍّ، وكلا القسمين يقعان فيما فاؤه واوٌ، فلمَّا تغايَرَا في اللزوم والتعدي، واتفقا في وقوع فائهما واوًا، وجب أن يُفَرَّقَ بينهما في الحكم؛ فَبَقَّوُا الواوَ في مضارع اللازم، نحو: وجِل يوجل ووحل يوحل، وحذفوا الواو من المتعدي، نحو: وعد يعد، ووزن يزن، وكان المتعدي أولى بالحذف؛ لأن التعدي صار عِوَضًا من حذف الواو"[١٠٠]. وقال الفراء:" إنَّ الواو إنَّمَا حُذفت من [يَعِد، ويزن]؛ لأنَّهُمَا متعديان. قال: وكذلك كلُّ متعدٍّ. قال: ألا ترى أنَّهم قالوا: [وَجِل يَوْجَل، ووحل يوحل]، فأثبتوا الواو؛ لمَّا كان [وجل، ووحل] غير مُتَعَدِّيَيْنِ"[١٠١]. قال المازني:" وتعجَّب أبو العباس من هذا القول، واستَطْرَفَهُ"[١٠٢].

وعلى هذا فإن رأي البصريين القاضي بأنَّه لمَّا كان في اجتماع الياء والواو والكسرة ثِقَلٌ حُذِفَتِ الواوُ- رأيٌ مرجوحٌ. أمَّا رأي الكوفيِّين القاضي بأنَّ العلة في حذف هذه الواو هي للتفرقة بين المتعدي واللازم؛ حيث تبقى في المضارع اللازم، وتسقط في المضارع المتعدِّي- فإنَّه رأيٌ مردودٌ مدفوعٌ؛ حيثُ إنَّ الفعلين في البيتين لازمان؛ الأول مضارع مجزوم [فَلَا تَلِعْ]، وأما الثاني فأَمْرٌ، والأمر يؤخذ من المضارع [وَلِعْ]، وبالرغم من ذلك قد حُذِفَتِ الواوُ مخالفة لرأي الكوفيين.

من أجل ذلك أرى أنَّ الوزن – وزن تفعيلة العروض في البيت الأول- هو الذي أملى على الشاعر حذفَ الواو؛ فبإثباتها ينكسر وزن تفعيلة العروض؛ حيث إن عروض الطويل مقبوضة دائما { فَلَا تلِعْ = مَفَاعِلُنْ}، أما بإثبات الواو [فَلَا تَوْلِعْ = مَفَاعِيلُنْ] فتصير تفعيلة

---

(٩٦) ورد [أَهِنْ لِلَّذِي تَهْوَى التِّلَادُ..]. انظره في: ديوان حاتم الطائي– ص٥٥، أمالي المرزوقي– ص٢٧٢.

(٩٧) كتاب سِيبَوَيْهِ–ج٤/ ص٥٢، ٥٣.

(٩٨) سورة الحِجْرِ– الآية {٥٢}.

(٩٩) مجاز القرآن، أبو عبيدة–ج١/ ص٣٥١.

(١٠٠) الإنصاف– ج٢/ ص٧٨٢.

(١٠١) المنصف–ج١/ ص١٨٨.

(١٠٢) السابق–ج١/ ص١٨٨.

العروض صحيحة، وهو مخالف لما استقرَّ عليه الفكر العروضي، وغير مسلوك في هذا البحر، وبخاصة أن البيت ليس مُصَرَّعًا، وكذلك الحال في البيت الثاني فبحذف الواو - رغم أن الفعل لازم- يصح الوزن { وَلِعْ بِالْـ = فَعُولُنْ }، أما بإثبات الواو فينكسر الوزن هكذا { وَاوْلِعْ بِالْـ = مُسْتَفْعِلْ أو فَالَاتُنْ أو مَفْعُولَا }.

الْمَبْحَثُ الثَّانِي

مُغَايَرَةُ الْبِنْيَةِ إِبْدَالًا؛ لِسَطْوَةِ تَفْعِيلَةِ الضَّرْبِ

قد سبق القول بأنَّ " الإبدال من سنن العربية التي تُعْرَفُ بها اللغةُ، وهذا الإبدال إنَّمَا جاء عن حاجة ماسَّةٍ إليه، وتتمثَّلُ هذه الحاجةE في طلب الخفَّةِ ومسوِّغَاتٍ أخرى، والإبدال يقع عند عامَّةِ الناس في كلامهم، كما يقع عند خاصتهم"[١٠٣]. من المسوغات الأخرى للإبدال مراعاة الوزن والامتثال لسطوة القافية، كما يبدو من النماذج والأمثلة الآتية:

الْأَوَّلُ: إِبْدَالُ الْيَاءِ جِيمًا؛ مُرَاعَاةً لِهَيمَنَةِ الْقَافِيَةِ وَأَوْلَوِيَّةِ الْحَرْفِ الْأَبْيَنِ

النموذجُ الأوَّلُ لإبدالِ الجيمِ من الياءِ:

أنشد الفراء [الرجز]:

يَا رَبِّ إِنْ كُنْتَ قَبِلْتَ حَجَّتِجْ
فَلَا يَزَالُ شَاحِجٌ يَأتِيكَ بِجْ
أَقْمَرُ نَهَّازٌ يُنَزِّي وَفْرَتِجْ[١٠٤]

أراد حَجَّتِيْ وَوَفْرَتِيْ وَبِيْ[١٠٥]. ويسمى هذا الإجراء بـ **[العَجْعَجَةِ]**، وهي منسوبةٌ إلى قضاعةَ من اليمن[١٠٦]. وقد " قُرِئَ:[الشَّجَرة]؛ بكسر الشين والجيم، وبإبدالها ياءً مع فتح الشِّين، وكسرها؛ لقربها منها مخرجًا"[١٠٧]، قال الشاعر في {شِيَرَة} [الطويل]:

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيكُنَّ ظِلٌّ وَلاَ جَنَى فَأَبْعَدَكُنَّ اللهُ مِنْ شِيرَاتِ[١٠٨]

بيد أن أبا عمرو كرهَ هذه القراءةَ، وقال:" يَقرأ بها برابرُ مكةَ وسودانُها"[١٠٩]، وعقَّب أبو حيان:" **وينبغي أنْ لا يكرهَها؛ لأنَّها لغةٌ منقولةٌ**، فيها قال الرياشي: سمعت أبا زيد يقول: كنَّا عند المفضَّل، وعنده أعرابٌ، فقلت: إنَّهم يقولون شِيَرة. فقالوا: نعم. فقلت له: قل لهم: يُصَغِّرُونَها. فقالوا: شُيَيْرَة. وأنشد الأصمعيُّ:

نَحْسَبُهُ بَيْنَ الْأَنَامِ شِيَرَة"[١١٠].

النَّموذجُ الثَّانِي لإبدالِ الجيمِ من الياءِ:

قد أُبْدِلَتِ الجيمُ من الياءِ- أيضا- في قول الراجز:

---

(١٠٣) لسان العرب- ج٤/ ص٣٩٥.

(١٠٤) الأصول في النحو، لابن السراج -ج٣/ ص٢٧٤* المفصل، للزمخشري- ص٥١٨.

(١٠٥) الأمالي، أبو علي القالي {ت٣٥٦هـ}-ج٢/ ص٨٠*النَّوَادِرُ فِي اللُّغَة- ص٤٥٦.

(١٠٦) المزهر-ج١/ ص١٧٦.

(١٠٧) اللباب في علوم الكتاب-ج١/ ص٥٥٥.

(١٠٨) الإتباع لأبي علي القالي- ص٨٠* نثر الدرر-ج٦/ ص٥٣.

(١٠٩) عمدة القاري-ج٢/ ص١٤.

(١١٠) تفسير البحر المحيط-ج١/ ص٣١٠، لم أعثر على الرجز في مظانِّه.

خَالِي عُوَيْفٌ وَأَبُو عَلِجِّ
الْمُطْعِمَانِ اللَّحْمَ بِالْعَشِجِّ
وبالغـــــداةِ فِلَـــــقَ البَرْنِجِّ(١١١)
يُقْلَـــــعُ بـــــالوَدِّ وبالصِّيصِجِّ(١١٢)

فإنَّـه أَرادَ " أبـو عَلِـيٍّ، وبالعَشِـيِّ، والبَرْنِـيِّ، وبالصِّيصِـيِّ؛ فأبْـدَلَ مـن اليـاءِ المُشَـدَّدَةِ جِيمًـا"(١١٣)، وَالْبَرْنِيُّ " نوعٌ من أجودِ التَّمْرِ"(١١٤).

ذلك، وقد اشترط الجوهريُّ لتحويل الياءِ جيمًا وجودَ العينِ، ومثَّلَ بقوله:{هَذَا رَاعِجْ خرجَ مَعِجْ}؛ أي هذا راعي خرج معي(١١٥). بَيْدَ أنَّ هذا الاشتراطَ ليس لـه مـا يُسَوِّغُهُ، أو يسنده مـن الجانـب الصـوتي، إلا إذا اعْتُبِـرَتِ العينُ والياء مـن الأصـوات المتوسـطة تقتضـي أنْ يُقْلَـبَ أحدُهما إلى نظيرٍ شديدٍ، فكانت الجيم بدلَ الياء، وهذا يُسْتَفْسَرُ عنـه: لِمَ كانتِ العينُ وحدَها دون باقي الحروف المتوسطة: الميم، والراء، واللام(١١٦).

يبدو أنَّ الياء - فيما سِيقَ آنفًا من أمثلـة- لـم تكن يـاءَ مَدٍّ فـي نُطْقِ القضـاعيِّينَ، بـل كانـت صوتًا ساكنًا؛ أي أنه كان يُنْطَقُ بها { الرَّاعِيْ}، حتَّى يُمكِنَ تصوُّرُ قلبِها جيمًا؛ ومن ثَمَّ فإنَّ إمام النحاة قدْ قَيَّدَ ذلك بـالوقف؛ مبينًـا العلـةَ من وراء ذلك المسلك الصـوتيِّ الصـرفيِّ؛ بـأنَّ اليـاء تُـزَادُ خَفَاءً في الوقف؛ لسكونها، أمَّا في دَرَجِ الكلام ووصلِهِ فلا حاجـة إلـى الإبدال؛ لأنَّ اليـاء ظـاهرةٌ؛ لتحركها، فقال سِيبَوَيْهِ قبل أنْ يُورد الشعر السالف:" وأمَّا نـاسٌ من بنـي سعدٍ فإنهم يُبْدِلُون الجيمَ مكـانَ اليـاءِ فـي الوقـف؛ **لأنَّهـا خفيَّـةٌ؛ فأبـدلوا مـن موضـعِهَا أَبْيَنَ الحـروف**، وذلـك قـولهم:[هذا تَمِيمِجٌّ]، يريدون [تَمِيمِـيٌّ]، [وهذا عِلِجٌّ]، يريدون [عَلِـيٌّ]، وسمعتُ بعضَـهم يقول:[عربـانجٌّ]، يريد [عربانيٌّ]"(١١٧)، فإذا وصلوا لم يُبدلوا.

فقد بين صاحب الكتاب العلة من وراء هذا المسلك الصوتي الصرفي في إبدال الياء جيمًا في حالة الوقف بأنَّ الياء خفيَّةٌ؛ فأبدلوا من موضعِهَا أَبْيَنَ الحروف، **بيدَ أنَّ ابن منظور وقع على العلةِ الأقوى** بقوله:" أمَّا مَـا أنشده سِيبَوَيْهِ من قولهم: خَـالِي عُوَيفٌ ... فإنَّـه **اضْطُرَّ إلـى القافيـة؛** فأبدلَ الجيمَ من الياء في الوصل، كما يُبدلها منهـا فـي الوقف"(١١٨)، وتلك لفتـةٌ قافويـةٌ راشدةٌ من صاحب اللسانِ- رحمه اللهُ!.

---

(١١١) كتاب سِيبَوَيْهِ–ج٤/ ص١٨٢.

(١١٢) الْمُفَصَّلُ– ص٥١٧.

(١١٣) المحكم والمحيط الأعظم–ج١٠/ ص٢٦٤.

(١١٤) المغرب في ترتيب المعرب، المطرِّزِيّ–ج٢/ ص٤٥٤.

(١١٥) الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهريّ{ت٣٩٣هـ}– ج١/ ص٣٢٨.

(١١٦) في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس– ص١١١.

(١١٧) كتاب سِيبَوَيْهِ–ج٤/ ص١٨٢.

(١١٨) السابق–ج١/ ص١٨٨.

جديرٌ بالذكر أنَّ الانتقال من صوت رَخْوٍ[الياء] إلى صوت آخرَ أميلَ إلى الشدَّة منه إلى الرَّخَاوَةِ [الجيم] لا يزال قائما حتى يوم الناس هذا في إحدى جهات شمال الدلتا المصرية(١١٩)، ذلك بأن العلاقة بين الياء والجيم علاقةٌ فيها اختلافٌ وائتلافٌ، فكلاهما صوت مجهور، مخرجهما واحد، بيد أنَّ الجيم أقربُ إلى الشِّدَّة منه إلى الرَّخاوة، والياء فيها بعض الرخاوة؛ لكونها شبيهةً بأصوات اللين(١٢٠)؛ من أجل ذلك **حَرَصَتْ بعض القبائل البدوية على تفخيم الياء بإبدالها جيمًا**، ومن هؤلاء [فقيم دارم] من قبيلة تميم.

تجدر الإشارة – أيضًا- إلى أنَّه من قبيل المخالفة لظاهرة [العجعجة] آنفة الذكر، ومن تتمة الأمر أنَّ ثمة أناسًا يُبْدِلُون الجيمَ يَاءً، فبنو تميم يقولون في [الصِّهْرِيجْ] الذي يجتمع فيه الماءُ:[الصِّهْرِيّ]. وثمة في بعض قرى جنوبيِّ العراق، وبعض بلدان الخليج العربيِّ- أيضًا- يقولون في[مَسْجِدْ]: [مَسْيِدْ]، وفي [دَجَاجْ]: [دَيَايْ] (١٢١).

وقريب من قلب الياء جيما عند القضاعيين **قلبُهم الكافَ جيمًا لفخامتِها**، فقد سأل رجلٌ من قضاعة من اليمن " بعض الفقهاء عن مسألة، فقال له: أصلحج الله! ما تقول في كذا؟ يريد [أصلحك الله!]" (١٢٢)، قال السيوطيُّ:" من العرب من يجعل الكافَ جيمًا، كـ [الجعبة]، يريد [الكعبة]"(١٢٣).

على هذا رَوَوْا حديث أم المؤمنين عائشةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهَا!- الصِّدِّيقةِ بنتِ الصِّدِّيقِ الْمُبَرَّأةِ من فوق سبع سماواتٍ حبيبةِ حبيبِ الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!- إذ قالت: يا رسول الله، إنَّ امرأةَ أبي قعيس أرضعتْنِي، وإن أخًا لأبي قعيس يأتيني، فيستأذن عليَّ. فقال النبيُّ:" اِيذَنِيْ له؛ فإنه عَمُّجْ"(١٢٤). يريد " عمك من الرضاعة؛ فأبدل كاف الخطاب جيمًا"(١٢٥). قال الخطابي {ت٣٨٨هـ} :" إنما جاء هذا من قِبَلِ بعض النَّقَلَةِ؛ وكان لا يتكلم إلَّا باللُّغة العاليَةِ"(١٢٦)، غيرَ أنَّ ابنَ الجزريِّ {ت٦٠٦هـ} رأى أنه " ليس كذلك؛ فإنه قد تكلَّمَ بكثير من لغات العرب، منها قوله:{ لَيْسَ مِنَ امْبِرِّ امْصِيَامُ فِي امْسَفَرِ}(١٢٧)، وغير ذلك"(١٢٨).

الثَّانِي: إِبْدَالُ الثَّاءِ تَاءً؛ مُرَاعَاةً لِهَيمَنَةِ الْقَافِيَةِ

قال الأصمعيُّ أنشدتُ الخليلَ قولَ السَّمَوْءَلِ بْنِ عَادِيَا(١٢٩)[الخفيف]:

---

(١١٩) اللهجات في الكتاب لسِيبَوَيْهِ؛ أصواتا وبنيةً- ص٢٩٣.

(١٢٠) في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس- ص١١١.

(١٢١) المحتوى اللهجي في كتاب النَّوَادِرُ فِي اللُّغَة- ص٣٧.

(١٢٢) غريب الحديث، للخطابي-ج٢/ ص٢٥٣.

(١٢٣) المزهر في علوم اللغة والأدب-ج١/ ص١٧٦.

(١٢٤) النهاية في غريب الأثر-ج٣/ ص٣٠٣.

(١٢٥) لِسَانُ الْعَرَبِ-ج١٢/ ص٤٢٥.

(١٢٦) غريب الحديث، للخطابي-ج٢/ ص٢٥٤.

(١٢٧) عن أُمِّ الدَّرْدَاءِ عن كَعْبِ بن أبي عَاصِمٍ الأشعري وَكَانَ من أَصْحَابِ السَّقِيفَةِ قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!- يقول:" لَيْسَ مِنَ امْبِرِّ امْصِيَامُ فِي امْسَفَرِ". مسند أحمد بن حَنْبَل-ج٥/ ص٤٣٤.

(١٢٨) النهاية في غريب الأثر-ج٣/ ص٣٠٣.

(١٢٩) شاعر يهوديٌّ، معاصرٌ لامرئ القيس، صاحب قصر الأبلق بتيماء. خِزَانَةُ الْأَدَبِ-ج١/ ص٣٨٨، ٣٨٩.

يَنْفَعُ الطَيِّبُ الْقَلِيلُ مِنَ الرِّزْ ق وَلَا يَنْفَعُ الْكَثِيرُ الْخَبِيثُ

بَلْ لِكُلٍّ مِنْ رِزْقِهِ مَا قَضَى اللّـ ـهُ وَإِنْ حَزَّ أَنْفَهُ الْمُسْتَمِيتُ[١٣٠]

فقال لي: **ما الخبيثُ؟ فقلت:[الخبيثُ].** وهذه لغةٌ لليهود يُبدلونَ منَ الثَّاءِ تَاءً. قال: فلِمَ لم يقُلِ:[الكتِيرُ]؟ فلم يكن عندي فيه شيءٌ"[١٣١].

إنْ خَلَتِ الروايةُ من التصحيف فإنَّه يتجلَّى دورُ القافية بنصوع، ويتبدَّى أثرُ سطوة الرَّويِّ بوضوح في تغيير البنية الصرفية؛ اتساقًا لما قبله من القوافي ومع ما بعدها كذلك، فالرَّويُّ هوَ الثَّاءُ المتحركة، فأبدل من الثاء تاءً من أجل ذلك، ولم يُبدلها في [الكثير]؛ لأنه لم تكن حاجةٌ ماسَّةٌ إلى ذلك؛ إذْ إنَّ تفعيلة الحشو غيرُ تفعيلة الضرب، يستوي في الأولى [الكَثِيرُ] بالثاء و[الكَتِيرُ] بالتاء، وأمَّا في الأخرى فلا يستويان مثلًا.

أورد الخليل البيتين، وجزم قائلا:" هو الخبيث بالثاء – أيضا"[١٣٢]، ومع ذلك فإن الرواية لا تسلم من مناوشتها بسهام لحوق التصحيف بها، فقد ذكر هذا أبو منصور العسكري{ت٣٧٠هـ} بلغة الظَّنِّ، لا بلغة الجزم، فقال:" أظنُّ [الْخَبِيثُ] تصحيفًا؛ لأنَّ الشَّيْءَ الحَقِيرَ الرَّدِيءَ إنَّما يُقال لـه: الْخَتِيثُ – بتاءَين- وهو بِمعنى الخَسِيس؛ فصحَّفَه، وجعله خَبِيثًا"[١٣٣]، بيد أن الزَّبِيدِيَّ {ت١٢٠٥هـ} قد تعقَّب أبا منصور بالتخطئة، فقال:" أخطأ ظنُّ الأزهريِّ. وقال ابنُ عَرَفَةَ: أراد: الخبيث، بالمُثلَّثة؛ **فأبْدل منها التّاءَ للقافية"**[١٣٤]. **فقد لَمَحَ الزبيدي سطوةَ حرف الرويِّ وأثرَه في تغيير البنية الصرفية بالإبدال من أجل القافية التي هي تاج الإيقاع الشعري، وذلك مَا لَمْ يُجِبْ عنه الأصمعيُّ فيما سلف من سؤال الخليل إياه**: فلِمَ لَمْ يقُلِ: الكتِيرُ؟. لم تكن إجابته سوى:[لم يكن عندي فيه شيءٌ].

قال ابنُ عادل:" والظَّاهرُ أن يكون بالثَّاءِ المثلثة، لا سيما لمقابلته بالطَّيِّب، ولكن الظَّاهر من عباراتهم أنَّه بالتاء المثنَّاةِ؛ لأنَّهُم يسوقونهُ في هذه المادَّةِ، ويدل على أنَّ معنى البيت إنَّما هو على الثَّاء المثلثة قول الزمخشري: وقيل: التَّاءُ فيه بدلٌ من الثَّاءِ"[١٣٥].

أخبر الأصمعيُّ الخليلَ حين سأله عن [الخبيت]، وأجابه بأنه أراد: الخَبيث- أخبره بأنها " لغة خَيْبر، فقال له الخليل: لو كان لغتهم لقال: الكَتير، وإنما كان يَنبغي لك أنْ تقول: إنهم يَقلبون الثاء تاءً في بعض الحُروف"[١٣٦]. وعلى ذلك أورد الزمخشري أنَّ " أبا عامر - الذي يُلَقَّبُ الراهبَ- كان مقيمًا على الحنفية قبل مبعث رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!- وكان حسودًا، فساعةَ بلَغَهُ أنَّ الأنصار بايعوه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!- تَغَيَّرَ، وَخَبُتَ، وَعَابَ الْحَنِيفِيَّةَ. خَبُتَ هو، بمعنى: خَبُثَ"[١٣٧].

---

(١٣٠) الأصمعيات– ص٨٦.

(١٣١) النَّوَادِرُ فِي اللُّغَة– ص٣٤٥.

(١٣٢) العين–ج٤/ ص٢٤١.

(١٣٣) تهذيب اللغة–ج٧/ ص١٣٦.

(١٣٤) تاج العروس–ج٤/ ص٥٠٤.

(١٣٥) اللباب في علوم الكتاب–ج١٠/ ص٣٥٠.

(١٣٦) المحكم والمحيط الأعظم–ج٥/ ص٢٩٨.

(١٣٧) الفائق–ج١/ ص٢٥٠، ٢٥١.

هذا، وقد ورد في قصيدة السموءل ذاتِها بيتٌ آخرُ فيه الإبدالُ ذاتُه:

وَأَتــانـي اليَقِـينُ أَنِّــي ـ إِذَا مُــتْ تُ، وَإِنْ رَمَّ أَعْظَمِي ـ مَبْعُوثُ(١٣٨)

قال عمر بن شبة:" هذه لغته؛ أراد مبعوث"(١٣٩). **إنما يؤكد ذلك ما ذهب البحث إليه من هيمنة تفعيلة الضرب وسطوة القافية في هذه المجانفة بالإبدال**.

لا جَرَمَ أنَّ لغة اليهود في جزيرة العرب لم تكن العربية الخالصة من شوائب الرطانة العبرية، فالعبرية كانت حاضرة في صلواتهم ومدارستهم(١٤٠)، فأثرت على عربيتهم، وقد يكون الشاعر في عدوله هنا من الثاء إلى التاء قد تأثر بلغة قومٍ آخرين، **فهو عدول فردي لا يعدو أن يكون ظاهرةً لها حكمة أو علةٌ يتعانق بها المعنى الدلالي بتغيير البنية الصرفية** إبدالًا، وإنما الأمرُ عائدٌ من قبلُ ومن بعدُ إلى سطوة تفعيلة الضرب وهيمنة القافية بحرف رويِّها مِنْ دون غَيْرٍ ولا سِوَى.

الثَّالِثُ: إِبْدَالُ السِّينِ تَاءً؛ مُرَاعَاةً لِسطْوَةِ الْقَافِيَةِ

قال عِلْبَاءُ بْنُ أَرْقَمَ الْيَشْكُرِيّ [الرجز] يهجو بنِي السِّعلاة، وهم أولاد عمرو بن يربوع، وهم نَتَاجٌ مشتركٌ، وخلْقٌ مركَّب من الإنس والجنِّ(١٤١):

يَا قَبَّحَ اللهُ بَنِي السِّــعْلاتِ(١٤٢)
عَمْرَو بْنَ يَرْبُوعٍ شِرَارَ النَّاتِ

(١٣٨) الأصمعيات– ص٨١.

(١٣٩) الفائق–ج١/ ص١٣٦.

(١٤٠) مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!– ص٢٤٥.

(١٤١) قيل: إنَّ سبب هذا الشعر أنَّ عمرو بن يربوع بن حنظلة من بني تميم تزوج السِّعلاة، وهي من الجنِّ. فقال له أهلها: إنك لا تزال معها بخير ما لم تر برقًا. فسَدَّ عمرٌو خَصَاصَ بيتِه، فولدتْ عِسْلاً وضمضمًا، فجعل عمرو إذا لاح البرق ستر وجهَهَا عنه. ثم إنها رأتْه ذات ليلة على بلاد السعالي، فقعدت على بكر من إبل عمرٍو، وقالت:

أَمْسِكْ بَنِيكَ عَمْرُو إِنِّي آلِقُ بَرْقٌ عَلَى أَرْضِ السَّعَالِي آلِقُ

وانصرفت، فكان آخر العهد بها؛ ففي ذلك يقول عمرو بن يربوع، وهو يتأسف على فراق حبيبٍ:

رَأَى بَرْقًا فَأَوْضَعَ فَوْقَ بَكْرٍ فَلا بِكَ مَا أَغَامَ ولا أَسَالا

انظرها في: الحيوان–ج٦/ ص١٩٧، الفصول والغايات– ص٦٤، الاشتقاق– ص٢٢٧.

(١٤٢) سر صناعة الإعراب– ج١/ص١٦٦. وفيه [يَا قَاتَلَ] بدلَ [يَا قَبَّحَ]. وفي روايةٍ أخرى:

يَا قَبَّحَ اللهُ بَنِي السِّعْلاتِ *عَمْرًا وَقَانُوسًا شِرَارَ النَّاتِ* لَيْسُوا بِأَخْيَارٍ وَلاَ أَكْيَاتِ

انظرها في: تاج العروس– ج٤/ ص ٥٠٤.

غَـيْرَ أعِفَّـاءٍ وَلَا أكْيَـاتِ

يلاحظ هنا سطوة القافية المطلقة بحرف رويِّهَا التاء المجرورة، نجد أنَّ لها أثرا في تغيير البنية الصرفية في لفظتي [النَّاتِ- أكْيَاتِ]؛ إذ أراد الشاعر [الناس، وأكياس]؛ فأبدل حرف الروي من السين إلى التاء؛ ليتوافق مع حرف الرويِّ قبله في { السِّعْلاتِ}، والشاعر مضطرٌّ في ذلك المسلك، غيرَ أنَّ أبا زيد علَّل ذلك بأنه " أُبدل التاءَ من السين؛ لأنَّ في السين صفيرا، فاستثقله، فأبدل منها التاء، وهو من قبيح الضرورة"(١٤٣)، وتسمى هذه اللهجة [الوتم]، وتُنسَبُ إلى أهل اليمن(١٤٤)، وقد علل ابن عصفور إبدال السين تاءً " **لموافقتها إياها في الهمس، والزيادة، وتجاور المخرج**"(١٤٥). وحكى الأصمعيُّ عن بعض العرب أنه قُرِأَ:[قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاتِ}، في جميعها بالتاء(١٤٦)، بيد أن هذه القراءة شاذَّةٌ(١٤٧).

الرَّابِعُ: إِبْدَالُ نُونِ التَّوْكِيدِ الْخَفِيفَةِ السَّاكِنَةِ أَلِفًا؛ مُرَاعَاةً لِلْقَافِيَةِ

قال ضمرة النَّهْشَلِيُّ(١٤٨)[الطويل]:

أمَّا الْوَعِيدُ بِاللِّسَانِ فَإِنَّنِي وَجَدِّكَ إِنْ قَاذَعْتَنِي لَتَنَدَّمَا

أما قوله:[**لَتَنَدَّمَا**] فقد" أراد النون الخفيفة: لَتَنَدَّمَنْ، فوقف بالألف"(١٤٩). ومن ذلك قوله – تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ!:[لَنَسْفَعًا بَالنَّاصِيَةِ}(١٥٠)، والوقف لَنَسْفَعَا، فإذا وصلت كانت نونا، وإذا وقفت كانت ألفًا. وقد قرأ أبو عمرو– في رواية هارونَ:[لَنَسْفَعَنَّ] مثقَّلة النون(١٥١). ومن ذلك – أيضًا- قول قُحَيفٍ الْعُقَيْلِيِّ[الطويل]:

وَفِـي الصَّحْصَـحِيّينَ الَّـذِينَ تَرَحَّلُوا كَوَاعِـبُ مِـنْ بَكْـرٍ تُسَـامُ وَتُحْمَلَا(١٥٢)

فقوله:[وَتُحْمَلَا] أراد النون الخفيفة، فإذا وصلت كانت نونًا، وإذا وقفت كانت ألفًا، ومن ذلك قول أبي الخطَّاب عُمَرَ بنِ أبي رَبِيعَةَ المخزُومِيِّ [الخفيف]:

وَقَمَيْرٌ بَدَا ابْنَ خَمْسٍ وَعِشْرِيـ ـنَ لَهُ قَالَتِ الْفَتَاتَانِ قُومَا(١٥٣)

فقوله:[قُومَا] أراد النون الخفيفة: قُومَنْ؛ فوقف على الألف(١٥٤). وكذلك قول الأعشى [الطويل]:

---

(١٤٣) النَّوَادِرُ فِي اللُّغَة– ص٣٤٤.

(١٤٤) المزهر في علوم اللغة– ج١/ ص٢٢٢.

(١٤٥) الممتع الكبير في التصريف، لابن عصفور {ت٦٦٩هـ}– ص٢٥٧.

(١٤٦) انظر: اللباب في علل البناء والإعراب– ج٢/ص٣٤١، همع الهوامع– ج٢/ ص٢٨٨.

(١٤٧) الدر المصون–ج٩/ ص٣٥٢.

(١٤٨) ضَمرَةُ بن ضَمرَة بن جابر النَّهْشَلِيّ الدارميّ، شاعر جاهلي، من الشجعان الرؤساء، وهو صاحب يوم ذات الشقوق، من أيام العرب في الجاهلية.

(١٤٩) النَّوَادِرُ فِي اللُّغَة– ص٢٥١.

(١٥٠) سَورَةُ الْعَلَق، الآية {١٥].

(١٥١) البحر المحيط– ج٨/ ص٤٩٥، الدر المصون– ج١١/ ص٦٠.

(١٥٢) تاج العروس– ج١٩/ ص٢٥٢.

(١٥٣) الاشتقاق– ص٤٦٩.

وَصَلِّ عَلَى حِين العشِياتِ وَالضُّحَى وَلَا تَحْمَـــــدِ الْمثـــــرِينَ وَاللهَ احْمَدَا[١٥٥]

فقوله:[احْمَدَا] أراد النون الخفيفة: احْمَدَنْ؛ فوقف على الألف[١٥٦]. ويستشهد ابنُ الوردي بشاهد من شواهد [الكتاب] للنابغة الجعديِّ [الطويل]:

فَمَنْ يَكُ لَمْ يَثْأَرْ بِـأَعْرَاضِ قَوْمِـهِ فَـإِنِّي وَرَبِّ الرَّاْقِصَـاتِ لأَثْـأَرَا

ويقول:" يتعيَّنُ في هذه الألف قلبُها عن نون التوكيد الخفيفة، ولا تكون للتثنية هنا أصلا"[١٥٧]. إذا وقع التنوين في الأمر وما كان مثله الأفعال غير الواجبة كان جيدا، فإذا وقع في الفعل الواجب كان ضرورةً من الشاعر، لو قلت:[يقومنْ زيدٌ] لم يجز، إلا في اضطرارِ شاعرٍ، كما في [وَتُحْمَلَا]؛ إذ ألجأت القافية المطلقة بالألف الشعراء في الشواهد السالفة إلى قلب نون التوكيد الخفيفة ألفا. أما من الناحية الصوتية لإبدال النون الخفيفة ألفًا فمن أجل سكونها وانفتاح ما قبلها، ومضارعتها بالتنوين؛ لأنهما جميعا من حروف المعاني، ومحلهما في آخر الكلمات، مع كون هذه النونِ خفيفةً وضعيفةً؛ ولذلك إذا وقعت قبلها فتحة فإنه يُبْدَلُ منها ألفٌ عند الوقف، نحو:[لا تضربْ زيدا، وعَمْرًا اضْرِبَا]، فأصله [وعَمْرًا اضْرِبَنْ]. فلما وقف على النون الخفيفة المفتوح ما قبلها أبدلها ألفا، كما يُبْدَلُ التنوينُ ألفًا إذا وقفت عليه، وانفتح ما قبله، نحو[رأيتُ زيدا][١٥٨].

الرَّابِعُ: إِبْدَالُ ألفِ [بَعْدَمَا] تَاءً؛ مُرَاعَاةً لِلْقَافِيَةِ

قال أبو النَّجْمِ الْعِجْلِيُّ [الرَّجَز]:

اللهُ نَجَّـــــاكَ بِكَفَّـــــيْ مَسْـــــلَمَتْ
مِـــنْ بَعْـــدِمَا وَبَعْـــدِمَا وَبَعْـــدِمَتْ
صَـارَتْ نُفُـوسُ الْقَـومِ عِنـدَ الغَلْصَـمَتْ
وَكَـــادَتِ الْحُـــرَّةُ أَنْ تُـــدْعَى أَمَـــتْ[١٥٩]

أراد [مَسْلَمَةْ، الْغَلْصَمَةْ، وَالْأَمَةْ]؛ فوقف " على الهاء بالتاء على اللغة، وهي حميرية، ويقال: لبعض بني أسد بن خزيمة"[١٦٠]. أما قوله:[وَبَعدِمَتْ] فإنما " أراد [وَبَعْدِمَا]، فأبدل الألف في

---

(١٥٤) تهذيب اللغة- ج١٥/ ص٤٧٧.

(١٥٥) إعراب القرآن- ج٢/ ص١٩٣.

(١٥٦) تهذيب اللغة- ج١٥/ ص٤٧٧.

(١٥٧) تاريخُ ابنِ الْوَرْدِيّ-ج١/ ص٣٠٧.

(١٥٨) انظر: شرح المفصل- ج٩/ص٨٨، الدر المصون- ج٦/ ص٤٩٢.

(١٥٩) انظر الأبياتَ الأربعة في: المحكم والمحيط الأعظم- ج١٠/ ص٥٨٠.

(١٦٠) الجمل في النحو- ص ٢٨٩.

التقدير هاءً؛ فصارت:[وَبَعْدِمَهْ]"[١٦١]، ثم أبدل الهاء تاءً؛ فصارت [وَبَعدِمَتْ]، وهي " لغةٌ في بعض لغات العرب، يقولون: وضعته في المشكات، وهذه جَمْرَتْ وَجَنَّتْ"[١٦٢].

يذهب البعض إلى أنَّ التاء أُبدِلَتْ من الألف، وليس عن طريق إبدال الألف هاءً، ثم إبدال الهاء تاءً، فقال:" إنَّها بدل من الألف؛ لأن التاء تُبْدَلُ من الألف عند الوقف وعند السجع"[١٦٣]. **هذا الرأي هو ما أذهب إليه ويتبنَّاه البحث؛ إذ إن في قول من رأى أن الألف مُبْدَلَةٌ إلى هاء، فصارت[بَعْدمَهْ]، ثم أبدل من الهاءِ الْمُبْدَلَةِ منَ الألف تاءً- تمحُّلًا لا دليل عليه. صفوة القول أن ذلك لم يكن إلَّا لِتُوَافِقَ القافيةَ برويها التاء المبسوطةَ الساكنة، وهو خروج كبير بالقافية من الإطلاق إلى التقييد**، وشجع الشاعر على ذلك تشبيهُ هذه الهاء بهاء التأنيث في حمزة وطلحة، فإنهم قد يقولون في الوقف: حَمْزَتْ وَطَلْحَتْ؛ تشبيها لفظيا، ألجأتْه إليه سطوة القافية.

أكتفي بتلكم النماذج آنفة الذكر تدليلًا على أنَّ لتفعيلة الضربِ سُهْمَةً سابغةً في مغايرة البنية الصرفية ومجانفتها من خلال ظاهرتَي الإعلال والإبدال الصرفيتين، فقد " روى النحويون بعض الصيغ العربية التي وردت على غير المألوف فيها، والقياس الجاري في أمثالها، ووقفوا أمامها حيارَى، وتكلفوا لها التأويل والتخريج، وفاتَهم في كل ذلك أنَّ السبب في مخالفتها المألوفَ هو استخدامُها في الشعر، ذلك الاستخدام الذي حوَّلها عن أصلها؛ لتنسجم مع الوزن الشعريِّ"[١٦٤].

وَالْحَمْدُ لِلّهِ بَدْءًا، وَمُخْتَتَمًا!

(١٦١) سر صناعة الإعراب- ص١٦٣.

(١٦٢) الجمل في النحو- ص ٢٨٨.

(١٦٣) زهر الأكم في الأمثال و الحكم، نور الدين اليوسي{ت١١٠٢هـ}- ص٢٠٢.

(١٦٤) فصول في فقه العربية- ص٢٠٦.

الْخَاتِمَةُ

يُمْكِنُنَا مِمَّا قَدْ سَلَفَ مِنْ تَطْوَافٍ الْخُلُوصُ إِلَى مَا يَلِي:

أولا: كان اللغويون النحويون والصرفيون يدركون كوامن الحكمة في اللغة؛ إذ كانوا على وعي واقتدار بجوانب تأثير تفعيلة الضرب على البنية الصرفية، ودور ذلك التأثير في تقعيد النحو العربي بمفهومه الأشمل الذي يضم الصوت والصرف والمعجم.

ثانيا: من جوانب تأثُّرِ البنية الصرفية بتفعيلة الضرب إعلالًا الانسجام الصوتي، وطلب الخفة، والتفريق بين المتعدِّي واللازم، وفَكُّ الإدْغَامِ، وذلك هو إجراءٌ على الأصل، وَمَطْلَبٌ قَافَوِيٌّ، وتجانس الصوت، وتضعيف الحرف الموقوف عليه لإِرَادَةِ الْبَيَانِ، والهروب من الوقوف على المقطع المفتوح.

ثالثا: كان لحرف الروي سابغ السطوة وبالغ الأثر في تغيير البنية الصرفية بالإعلال؛ من أجل توافق القافية التي هي تاج الإيقاع الشعري.

ثَبَتُ الْمَصَادِرِ والْمَرَاجِعِ

أولا: القرآن الكريم.

ثانيًا: المصادر والمراجع:

١- الإبانة في معاني القراءات، لمكي بن أبي طالب القيسي-دار نهضة مصر- ١٩٧٧م- تحق/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي.

٢- الإبداع الموازي: التحليل النصي للشعر، أد/ محمد حماسة عبد اللطيف-دار غريب- ١٤٢٢ هـ= ٢٠٠١م.

٣- الإبدال وعلاقته بعلم الأصوات، م.م . مثنى جاسم محمد- بعقوبة- مجلة كلية الآداب - العدد ١٠.

٤- إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم {ت٦٦٥هـ}- شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي – مصر- تح/ إبراهيم عطوة عوض.

٥- أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، فوزي الشايب- عالم الكتب الحديثة- إربد- الأردن- ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م.

٦- الإدغام في علم اللغة الحديث، وجدان عبد اللطيف موسى- رسالة ماجستير- جامعة مؤتة- الأردن-٢٠٠٢م.

٧- الاشتقاق، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد {ت٣٢١هـ}- مكتبة الخانجي - القاهرة/مصر – ط٣- تح/ عبد السلام محمد هارون.

٨- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م- ط٣- تح/ د. عبد الحسين الفتلي.

٩- إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، عالم الكتب- بيروت- ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م- ط٣- تح/ د. زهير غازي زاهد.

١٠- الاقتراح في علم أصول النحو، جلال الدين السيوطي- القاهرة -١٩٧٦م - ط١- تح/ د. أحمد محمد قاسم.

١١- أمالي المرزوقي، أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني {ت٤٢١هـ}- دار الغرب الإسلامي- المغرب- ١٩٩٥م- ط١- تح/ د. يحيى وهيب الجبوري.

١٢- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي- دار الفكر- دمشق- تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد.

١٣- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، جمال الدين بن هشام الأنصاري- دار الجيل- بيروت- ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م- ط٥- تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد.

١٤- الإيضاح في علل النحو، لأبي القاسم الزجاجي- دار النفائس- بيروت- ١٩٧٣م- ط٢- تح/ د. مازن المبارك.

١٥- بحوث ومقالات في اللغة، أد. رمضان عبد التواب- مكتبة الخانجي بالقاهرة- ط٣= ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.

١٦- تاج العروس، لمرتضى الزَّبِيديِّ{ت١٢٠٥هـ} - التراث العربي- سلسلة تصدرها وزارة الإعلام في الكويت- تحقيق /(عبد الستار أحمد فرج- علي هلالي- عبد العليم الطحاوي- حسين نصار).

١٧- تاريخُ ابنِ الْوَرْدِيّ، زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي [ت٧٤٩هـ]- دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م- الطبعة الأولى.

١٨- تاريخ أبي زرعة الدمشقي، عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري المشهور بأبي زرعة الدمشقي الملقب بشيخ الشباب- دار الكتب العلمية- بيروت-١٤١٧ه-١٩٩٦م- ط١- تح/ خليل المنصور.

١٩- التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو الداني- الأردن- دار عمار- ١٤٢١م- تحقيق/غانم قدوري الحمد.

٢٠- التذكرة الحمدونية، ابن حمدون محمد بن الحسن بن محمد بن علي {ت ٦٠٨هـ}- دار صادر- بيروت/ لبنان- ١٩٩٦م- ط١- تح/ إحسان عباس، بكر عباس.

٢١- تعالق المستوى الصرفي بمستويات اللغة الأخرى، ودوره في تبيان الدلالة في تعليم العربية للناطقين بغيرها، الدكتور خالد حسين أبو عمشة- المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية- دبي- الإمارات- ٨-١١/ ٧/ ١٤٣٥هـ= ٧- ١٠/ ٥/ ٢٠١٤م.

٢٢- تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري {ت٣٧٠هـ}- دار إحياء التراث العربي- بيروت- ٢٠٠١م- ط١- تح/ محمد عوض مرعب.

٢٣- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي-دار الفكر العربي-١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م- ط١- تح/ عبد الرحمن علي سليمان.

٢٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر- دار الفكر- بيروت – ١٤٠٥هـ.

٢٥- جزء فيه قراءات النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!- أبو عمر حفص بن عمر الدوري- مكتبة الدار- المدينة المنورة - السعودية - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م- ط١- تح/ حكمت بشير ياسين.

٢٦- الجمل في النحو، الخليل بن أحمد الفراهيدي {ت١٧٥هـ}- الطبعة الخامسة- ١٤١٦هـ= ١٩٩٥م- تح/ د. فخر الدين قباوة.

٢٧- جمهرة أشعار العرب، أبو زيد القرشي- دار الأرقم – بيروت- تح/ عمر فاروق الطباع.

٢٨- الحيوان، الجاحظ {ت ٢٥٥هـ}- دار الجيل- لبنان/ بيروت - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م- تح/ عبد السلام محمد هارون.

٢٩- خِزَانَةُ الْأَدَبِ ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي {ت١٠٩٣هـ}- دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٨م- ط١- تح/ محمد نبيل طريفي/ إميل بديع يعقوب.

٣٠- الخصائص، لابن جني- بيروت- الطبعة الثانية- تح/ محمد علي النجار.

٣١- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي- دار القلم- دمشق – ١٤٠٦هـ- ط١- تح/ د. أحمد محمد الخراط .

٣٢- دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار-عالم الكتب- القاهرة- ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.

٣٣- دلالة الألفاظ ،إبراهيم أنيس- الطبعة الثالثة- ١٩٧٦م- المطبعة الفنية الحديثة.

٣٤- ديوان أبي العلاء المعري ، أبو العلاء المعري- دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع - بيروت– ١٩٩٨م- ط١- تحق/ علي المصري.

٣٥- ديوان حاتم الطائي- دار الكتب العلمية - بيروت – ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م- ط١-تح/ أحمد رشاد.

٣٦- رسالة الصاهل والشاحج، أبو العلاء المعري{٣٦٣هـ:٤٤٩هـ} - دار المعارف- ط٢-١٤٠٤هـ-١٩٨٤م-تح/ د. عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ).

٣٧- زهر الأكم في الأمثال و الحكم، نور الدين اليوسي{ت١١٠٢هـ} - الدار البيضاء- المغرب- ١٤٠١هـ= ١٩٨١م- تح/ محمد حجي، د. محمد الأخضر.

٣٨- الزهرة - أبو بكر محمد بن داود بن علي بن خلف الأصبهاني ثم البغدادي الظاهري {ت٢٩٧هـ} - مكتبة المنار- الأردن - ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م – ط٢ تح/ د. إبراهيم السامرائي.

٣٩- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني - دار القلم - دمشق - ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م- ط١- تح/ د. حسن هنداوي.

٤٠- شرح المفصَّل، لابن يعيشَ{ت٦٤٣هـ} - دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- قدم له الدكتور/ إميل بديع يعقوب.

٤١- شرح شافية ابن الحاجب، محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي {ت٦٨٦هـ} - دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ١٣٩٥هـ=١٩٧٥م.

٤٢- شعر أبي تمام، دراسة نحوية، أد/شعبان صلاح- دار الثقافة العربية- القاهرة– ط١–١٤١١هـ= ١٩٩١م.

٤٣- علل التثنية، أبو الفتح عثمان بن جني- مكتبة الثقافة الدينية - مصر- ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م- تح/ الدكتور صبيح التميمي.

٤٤- علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، أد. سعيد بحيري- مؤسسة المختار–ط١- ١٤٢٤هـ=٢٠٠٤ م.

٤٥- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي {ت١٧٥هـ} - دار ومكتبة الهلال- تح/ د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي.

٤٦- فصول في فقه العربية، أد. رمضان عبد التواب، راجعه وقدم له أد. خالد فهمي- مكتبة المتنبي- الدمام- المملكة العربية السعودية.

٤٧- الفصول والغايات، المعري{ت٤٤٩هـ)- دار الآفاق الجديدة- بيروت- الطبعة بدون- تح/ محمود حسن زناتي.

٤٨- فضائل القرآن، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم الهروي البغدادي- دار ابن كثير- دمشق–تح/ مروان العطية، ومحسن خرابة، وفاء تقي الدين.

٤٩- القاموس المحيط، الفيروز آبادي- مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان-ط٨- ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م- مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي.

٥٠- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، أد. عبد الصبور شاهين- مكتبة الخانجي- مصر.

٥١- القوافي للأخفش الأوسط، أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط - مديرية إحياء التراث القديم- وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي- دمشق - ١٣٩٠- ١٩٧٠م- تح/ د. عزة حسن.

٥٢- كتاب الإغفال، العلاَّمة أبي عليٍّ الحسنِ بنِ أحمدَ بنِ عبد الغفَّار الفارسيِّ النَّحويِّ - مجلة جامعة أم القرى - مكة المكرمة - صفر ١٤٢١ هـ - الطبعة : ج١٢، ع ٢٠- تح/ د. عبد الله بن عمر الحاج إبراهيم.

٥٣- كتاب سِيبَوَيْهِ، أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سِيبَوَيْهِ {ت١٨٠هـ}- دار الجيل– بيروت- ط١- تح/عبد السلام محمد هارون.

٥٤- اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء العكبري- دار الفكر- دمشق - ١٤١٦هـ ١٩٩٥م- ط١- تح/ د. عبد الإله النبهان.

٥٥- لسان العرب، لابن منظور {ت٧١١هـ}- دار صادر- بيروت- ط٣-١٤١٤هـ.

٥٦- اللهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندي- دار العربية للكتاب- ط١- ١٩٥٣م.

٥٧- اللهجات العربية: نشأة، وتطوُّرًا، عبد الغفار حامد هلال- مكتبة وهبة- القاهرة- ط٢- ١٤١٤هـ=١٩٩٣م.

٥٨- اللهجات في الكتاب لسِيبَوَيْهِ؛ أصواتا وبنيةً، صالحة راشد آل غنيم- رسالة ماجستير- جامعة أم القرى- مكة المكرمة- ١٤٠٣هـ.

٥٩- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي- مكتبة الخانجي - القاهرة - ١٩٥٤م- ط١- تح/ د. محمد فؤاد سزكين.

٦٠- مجالس ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب- دار المعارف - القاهرة – ١٩٦٠م- ط٢- تح/ عبد السلام هارون.

٦١- المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده المرسي- دار الكتب العلمية- بيروت- ٢٠٠٠م- ط١- تح/ عبد الحميد هنداوي.

٦٢- المحيط في اللغة، الصاحب الكافي الكفاة أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني-عالم الكتب- بيروت / لبنان- ١٤١٤هـ-١٩٩٤م- ط١- تح/ الشيخ محمد حسن آل ياسين.

٦٣- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد القاري، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م- ط١- تح/ جمال عيتاني.

٦٤- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي{ت٩١١هـ}-دار الكتب العلمية- بيروت-١٤١٨هـ ١٩٩٨م– ط١-تح/ فؤاد علي منصور.

٦٥- المسائل العسكريات في النحو العربي، لأبي علي الفارسي-مطبعة بغداد-١٩٨٢م- تح/ علي جابر المنصوري.

٦٦- المشترك اللفظي في اللغة العربية، عبد الكريم شديد- رسالة ماجستير- بغداد-١٩٧٦م.

٦٧- معاني القرآن، أبو زكريا الفراء {ت٢٠٧ه}- دار المصرية للتأليف والترجمة- مصر- تح/ أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل شلبي.

٦٨- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس- دار الجيل - بيروت - لبنان- ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م- ط٢- تح/ عبد السلام محمد هارون.

٦٩- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، عالم الكتب- بيروت- تح/ محمد عبد الخالق عظيمة.

٧٠- الممتع الكبير في التصريف، لابن عصفور {ت٦٦٩هـ}- مكتبة لبنان- ط١-١٩٩٦م.

٧١- من أسرار العربية، إبراهيم أنيس- مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة- ط٦-١٩٧٨م.

٧٢- المنصف لابن جني{ت٣٩٢هـ}، شرح كتاب التصريف؛ لأبي عثمان المازني- دار إحياء التراث القديم- وزارة المعارف العمومية- القاهرة- ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م- ط١- تح/إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين.

٧٣- النشر في القراءات العشر، لابن الجزري{٨٣٣هـ}- المطبعة التجارية الكبرى- تصوير دار الكتب العلمية- تح/ علي محمد الصباغ.

٧٤- النوادر في اللغة، لأبي زيد الأنصاري{ت٢١٤هـ}- دار الشروق- ط١-١٤٠١هـ= ١٩٨١م-تحقيق/ محمد عبد القادر أحمد.